

المشرف العام:

علي نافذ المرعبي

العلاقات والإتصالات:

سناء جاب الله

منيرة أبوليل

الإدارة الإلكترونية:

محمود مراد

الخطوط والرسوم:

حمدي شعبان

مستشارو الشرف:

ابراهيم البارودي

أديب ناصر

بشير مواس

حسان القصار

حسن غريب

خالد النعيمي

عادل الخفاجي

علي برو

فيصل ذكي

محمد سليمان الفكي

مزهر الدوري

مصطفى نوبصر

منذر معاليقي

مؤيد الحديثي

العنوان البريدي:

3, rue de Tlemcen 75020 Paris – France

العنوان الالكتروني:

Ali.merhebi1@gmail.com

الهاتف و الفاكس: 00331 43 49 06 15 – المحمول: 00336 22 92 92 45

الحرية والديموقراطية مفهومان متكاملان ومتلازمان

أ. حسن غريب

لغويًا: عن التكامل والتلازم:

تكاملت الأشياء : كَمَل بعضها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما يكمّلها من خارجها. وتلازم الشئان تَعَلَّقًا تَعَلُّقًا لا انفكاك فيه.

ولماذا أطلقنا مصطلح التكامل والتلازم بين مفهومي الحرية والديموقراطية؟

إن الحرية قيمة إنسانية مطلقة، وهي تعبير فلسفي قديم قائم بذاته، أطلق لتأكيد حق الإنسان في أن لا يكون مقيداً من أية سلطة أخرى. وهي تعني حرية التفكير من دون قيد أو شرط. وحرية الاعتقاد من دون إكراه. وحرية الانتماء بقناعة ذاتية من دون إلزام. إذن الحرية حقيقة مطلقة ما دام الإنسان يعيش بمفرده بعيداً عن الآخر.

وأما الديموقراطية، فهي تعبير سياسي حديث، وهو الجانب التنفيذي لقيمة الحرية في الحالات التي تجمع أكثر من إنسان فرد واحد. ولأنه جاء لينظم العلاقات بين فردين أو أكثر، كان من أهم وظائفه أن يوفّق بين حريات مختلفة. لذا جاء ليعترف بحق كل فرد بالتفكير والاعتقاد واتخاذ القرار، ولكن على شرط أن يعترف الفرد بحق الآخر في التفكير والاعتقاد واتخاذ القرار. ولأن الفرد ملزم بمشاركة الآخر بالحقوق ذاتها، ولكي لا تصل ممارسة الحقوق إلى حدود التناقض الذي يؤدي إلى انفصال الواحد عن الآخر، جاء مصطلح الديموقراطية لكي يلزم كل فرد بالتنازل عن حقه في القرار لمصلحة قرار الجماعة، فساعتئذ تبدأ مرحلة الإلزام، أن تفقد الحرية صفتها المطلقة لتصبح حرية نسبية، وتخضع حرية الفرد للقيود لأنها أصبحت مرتبطة بحرية الآخرين. وهذا ما يصح القول فيه: (تنتهي حريتي عند حدود حرية الآخرين).

بناء عليه يتكامل مفهوم الحرية مع مفهوم الديموقراطية ويتلازمان.

الحرية والديموقراطية من المفهوم الفلسفي إلى المفهوم السياسي

من أكثر المفاهيم المعاصرة إشكالية هي العلاقة بين الحرية والديموقراطية، سواءً أكان الأمر متعلقاً بحياة الأفراد كخصوصيات شخصية، أم كان داخل المجتمعات الإنسانية التي تتطلب مفاهيم خاصة تواكب حالة التوازن القيمي بين الفرد والآخر. وهذا ما يُلَفَت النظر إلى ضرورة الاهتمام بعلاقات الدول فيما بينها وصولاً إلى توحيد مفاهيم الحرية كناظم إنساني وقيمي بين الدول المعاصرة كحاجة وضرورة في بناء علاقات متوازنة لا تطغى عليها عوامل القوة والمصالح الضيقة.

من استعراض العناوين أعلاه، يظهر مدى تعقيد هذه المسألة، ومدى اتساع إشكالية البحث عن وضع حلول تضمن حرية الفرد من دون المساس بحريات الآخرين، كما تضمن حقوق المجتمع الواحد من دون المساس بحرية المجتمعات الأخرى. وتضمن أيضاً حريات الدول من دون المساس بحريات الدول الأخرى.

يبدو مما ذكر أعلاه أن مدى أهمية الحرية كمفهوم إنساني قيمي عام، يكشف مدى أهمية البحث عن الديموقراطية كوجه تطبيقي يضع الحلول السليمة لشتى أنواع العلاقات الإنسانية انطلاقاً من علاقة فردين اثنين وصولاً إلى علاقة سليمة بين شتى أنواع المجتمعات الإنسانية. وهذا بدوره يكشف عن مدى اتساع هذه الإشكالية، وعظم المهمة الموكولة إلى كل من يتجرأ ويدخل في البحث عنها.

وعلى الرغم من كل ذلك، ولكي لا يكون السؤال مهمة أساسية لوحده، يمكن أن يشكل البحث عن جواب مهمة أخرى لا تقل أهمية عن السؤال. واستناداً إلى ذلك سنتقدم ببعض ما يفرضه علينا عبء التفكير والتنظير. ولذلك سننطلق بداية من محاولة تكثيف لتعريف الحرية والديموقراطية، على أن تكون فاتحة لمواكبة مجموعة أخرى من الأسئلة التي تتعلق بتطبيق مبدأ

إنساني يتعلق بالحرية التي شغلت بال كل من انخرط في هموم الفكر ومشاكله ومشاغله وما جرَّ إليه من نكبات شخصية تعرَّض لها معظم المفكرين على مدى التاريخ الفكري السحيق.

أولاً: الحرية مفهوم فلسفي والديموقراطية مفهوم سياسي

1- الأبعاد الفلسفية والسياسية للحرية.

موضوع الحرية هاجس دائم، يبحث عنه الإنسان، أياً كان عمره، وأياً كان مستواه وموقعه. هذا الموضوع لا يكتسب معناه، ولا يرتسم مشكلة في ذهن الفرد وتساؤلاته سوى في الوقت الذي يلتقي فيه، هذا الفرد، مع الآخرين، وفي الوقت الذي تظهر فيه قضية ما في دائرة التعارض أو التناقض بين حدين: الأنا والآخر.

الفرد المنعزل، عن غيره من الأفراد، في أفكاره وطموحاته وحاجاته، لا يشعر أنه بحاجة إلى أن يطرح السؤال: إلى أي حد يُسمح لي بأن افكر كما يحلو لي، وأن امارس، دون عوائق أو حواجز، ما أعتقد أنه صحيحاً.

الفرد/ الإنسان، يتعلم ويكتسب خبرات وعادات وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه ومعه، ويتلقاها بطريقة تفاعلية بينه وبين الآخرين. فالمجتمع يشبع الفرد بثقافته وعاداته الاجتماعية، كما أنه يعلمه الخبرات والمهارات. هذا الاكتساب الذي يناله الفرد من مجتمعه، أو الثقافة التي يتلقاها منه تحمل، في حد ذاتها، قيوداً وحواجز وممنوعات. عندما يصل الفرد/ الإنسان إلى مرحلة من النضج الاجتماعي والثقافي -النضج هو مسألة نسبية لا تنفصل عن مستوى الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي يعيش فيه- يقوم بدور فاعل، مستنداً إلى كفاءاته الذاتية، حينئذ قد يمتلك المقدرة على تطوير هذه الثقافة. وفيما يضخه الفرد من ابتكاراته الفكرية والثقافية إنما يصبح ملكاً لهذا المجتمع، إذا حاز قناعة لديه.

فالفرد مكبل بالثقافة السائدة في مجتمعه، لأنها في غالب الاحيان تكون ملزمة له، هذا الأمر يضع قيوداً على حريته الشخصية إذا لم تشكل لديه القناعة الكافية بها. لكن هذه القيود قد تولد عند الفرد/ الإنسان حافزاً له لكي يضخ في مجتمعه أفكاراً جديدة تعبّر عن حريته الشخصية وتفسح له المجال للإسهام في بناء ثقافة هذا المجتمع. لكن قد لا تلقى هذه الإضافات الفكرية قبولاً لدى أفراد المجتمع الآخرين، لكنه إلى الحين الذي يقتنع بها المجتمع ويهضمها ساعتئذ تصبح إضافات جديدة في ثقافة المجتمع العامة.

تحمل الثقافة العامة لأي مجتمع من المجتمعات قيوداً للأفراد، وكلما ازدادت الوظائف الاجتماعية أو السياسية أو التقنية لمجتمع ما تزداد هذه القيود لأن هذه الوظائف تحتاج إلى مزيدٍ من الأدوار والتقسيمات والتنظيمات.

لأن الفرد/ الإنسان إجتماعي بمتطلباته وحاجاته ورغباته، ولأن المجتمع هو الوسط الضروري لكي يمارس الإنسان فيه إنسانيته، ينبع السؤال - الهاجس: أين نحدد موقع الحرية في دائرة الفرد، وأين نحدد موقعها في دائرة المجتمع؟

عندما يبقى الفرد فرداً، أي عندما لا يعيش في داخل مجتمع ما، تكتسب الحرية بُعداً فلسفياً خالصاً ومفهوماً مجرداً لأن الفرد يمارس نشاطاته دون ضغط أو إكراه، ولأن غيابهما مرتبط بغياب الإنسان الآخر، وكأن قيود الأنا مرتبط بوجود الغير.

فهل نستطيع القول، إذن، وفي سبيل الحصول على الحرية الكلية المجردة، أن الغاء الآخر شرط ضروري لممارسة الحرية، بينما هذا الإلغاء، بحد ذاته، هو عملٌ ضد الحرية. فوجود الآخر هو واقع حتمي وضرورة ماسة:

فأما الوجود هو واقع حتمي، فلأن الإنسان يولد من إنسان آخر.
وأما هو ضرورة ماسة، فلأن الإنسان المولود هو بحاجة إلى مساعدة الوالد.

الرغبات والحاجات والأفكار عند الأنا والآخر ليست متجانسة، ولأن الإنسان لا يمكنه تحقيق كل رغباته وحاجاته بنفسه فهو بحاجة إلى الآخرين، فإنه يعمل للاندماج مع الآخرين لتأمين هذه الحاجة باختيار حر، فالحاجة الاجتماعية للإنسان هي حاجة أساسية: الأنا والغير هما ركيزتها، فكيف يتم التوافق والتوفيق بين حرية الأنا وحرية الغير؟

لهذا السبب وضعت معايير ومقاييس، أو ما نستطيع تسميته حدوداً وحوافز بين حقوق الأفراد لكي يمنع عليها التصادم، وهذا ما نُطلق عليه مفهوم الحقوق العامة، هذه الحقوق لا يمكن أن تستقيم إلا بوجود طرف المعادلة التسويوي وهو مفهوم الواجبات.

فالتصادم بين حقوق الأفراد تم ضبطه بوضع مجموعة من القيم القانونية والسياسية والأخلاقية لتقوم بوظائفها في تنظيم حركة التبادل العلائقي بين الأفراد، وأصبحت معادلة التسوية قائمة على نظرية الحقوق والواجبات العامة.

لكن الحقوق الفردية قد تتجاوز الحدود المرسومة لها، أو لأن الحدود ليست مرسومة بدقة، فتطغى حينئذ على الحريات العامة، أو قد يحصل العكس، عندئذ تُطرح الإشكالية التالية: كيف نؤمن التوازن بين الحقوق والواجبات لكي نمنع طغيان حد على الحد الآخر؟

إن مناقشة هذه الإشكالية تتطلب، باعتقادنا، معالجة مسألتين هما: البُعدان الفلسفي والسياسي للحرية.

2- البعد الفلسفي للحرية

جاء في القاموس الفلسفي، للدكتور جميل صليبا - صادر عن دار الكتاب اللبناني، عن الحرية ما يلي:

للحرية معانٍ ثلاث:

-الأول: المعنى العام: الحرية خاصة الموجود، الخالص من القيود، العامل بارادته أو طبيعته.

-الثاني: المعنى السياسي والاجتماعي: وهو قسمان:

أ- الحرية النسبية: فهي الخلوص من القسر والإكراه الاجتماعي، والحر هو الذي يأتُر بما أمر به القانون، ويمتنع عما نهى عنه.

ب- الحرية المطلقة: فهي حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلوكها. وليس المقصود حصول الاستقلال بالفعل، بل المقصود منها الاقرار بالاستقلال واستحسانه، وتقديره، واعتباره قيمة خلقية مطلقة.

- الثالث: المعنى النفسي والخلقي: فالحرية هي الحد الأقصى لاستقلال الإرادة، العالمية بذاتها، المدركة لغايتها، وإذا كانت الحرية مضادة للهوى والغريزة، دلت على حالة إنسان يحقق بفعله ذاته من جهة ما هي عاقلة وفاضلة. لذلك قال (لينييز): إن الله وحده هو الحر الكامل».

يعتقد المثاليون، كما جاء في الموسوعة الفلسفية (روزنتال + بودين الصادرة عن دار الطبيعة في بيروت) إن الحرية والضرورة مفهومان يستبعد كل منهما الآخر بالتبادل، ويعتبرون أن الحرية هي تقرير الروح لمصيرها، وحرية الإرادة وإمكانية التصرف وفق إرادة لا تحددها الظروف الخارجية.

لكن، كما جاء في الموسوعة ذاتها، إن التفسير العلمي للحرية والضرورة يقوم على أساس تفاعلها وتداخلهما الجدلي، وقد قدم هيغل تصوراً دقيقاً للوحدة الجدلية بينهما إنطلاقاً من مواقف مثالية. يعتقد هيغل أن الضرورة الموضوعية هي أولية بالمعنى المعرفي وأن ارادة الإنسان ووعيه ثانويان مشتقان من الضرورة.

فالضرورة، كما جاء عند هيغل، توجد في الطبيعة والمجتمع على شكل قوانين موضوعية. فالقوانين غير المدركة تكون «عمياء». ففي بداية تاريخ الإنسان، وكان غير قادر على استكناه أسرار الطبيعة، ظل عبداً للضرورة غير المدركة وكأنه غير حر. وكلما ازداد الإنسان عمقاً في إدراك القوانين الموضوعية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية أم سياسية كلما ازداد نشاطه حرية ووعياً.

جاء تعريف الحرية في الموسوعة السياسية (د. عبد الوهاب الكيالي الصادرة عن مؤسسة الدراسات العربية- بيروت) كما حدده الفكر الليبرالي الفردي الأوروبي، كما يلي:

الحرية هي أساساً غياب الإكراه والقيود التي يفرضها طرف آخر، فالإنسان حر عندما يكون قادراً على اختيار هدفه وطريقه، وأن يكون في وضع يستطيع معه الاختيار بين احتمالين، وأن لا يكون مرغماً على اختيار ما لا يريد أن يختاره، سواء من خلال خضوعه لإرادة شخص أو دولة أو أية سلطة أخرى، وهذا ما يسمى بالحرية السلبية.

فوجود الحرية مرتبط بثلاثة أمور أساسية:

-الأول: غياب الإكراه والقيود البشرية.

-والثاني: غياب العوامل الطبيعية التي تحول دون تحقيق القرار الحر.

-والثالث: امتلاك وسائل القوة الكفيلة بتحقيق الأهداف المختارة إرادياً.

لكن، لكي تكتسب الحرية الفردية مفهومها الصحيح، حرية اختيار الهدف والطريق، أن يكون الاختيار واعياً، فكيف يتحقق الاختيار الواعي؟

يشكل التعليم والثقافة، بتوسيعهما لقدرة الإنسان على الاختيار والقرار، شرطاً أولياً مهماً من شروط ممارسة الحرية، فالمعرفة تطور قدرة الإنسان على الافعال الحرة والتصرف الحر.

فالحرية في بعدها الفلسفي، استناداً إلى ما عدناه من تعريفات، هي حرية مطلقة تتنافر مع مبدأ الضرورة الطبيعية والاجتماعية.

أما الحرية في بعدها الاجتماعي، فهي حرية نسبية، من شروطها الخلاص من القسر والإكراه، لكن، على أن لا تتنافى مع الأعراف والقوانين الاجتماعية السائدة المشروطة بالوعي والمعرفة من قبل الفرد.

أية ثقافة هي المطلوبة للأعراف والقوانين؟ هل هي ثقافة المجتمع السائدة؟ أم هي ثقافة النخبة من الناس؟ وكيف يكون الأمر فيما لو تناقضت مفاهيم المعرفة عند الأفراد، مع الثقافة السائدة؟

ينزع الفرد بالغريزة إلى حرية الفعل، تظهر عند الإنسان منذ ولادته في تصرفاته وحاجاته، كحرية اللعب واختيار الطعام، حريته في ملكيته العامة وأغراضه الخاصة، وتظهر لديه ميول في الاستيلاء على ممتلكات غيره، ومقاومة الميول ذاتها عندأنداده من الأطفال.

حينئذ يبدأ الفرد بالإدراك، أن هناك العديد من الحواجز التي يضعها الآخرون في وجهه، وهي التي تحد من حرية تصرفاته وتمنعه من ممارسة الكثير من رغباته، فيشعر أنها قيوداً أمامه. فالطفل يشعر حتى في علاقاته مع أمه بمثل هذه الحواجز والروادع، وكلما اتسعت علاقاته مع الآخرين تزداد القيود، وهذه بدورها تراكم العامل الثقافي عنده الذي هو عبارة عن مجموعة من العادات التي يحدد له فيها المجتمع، الصغير أو الكبير، حقوقه ويرسم له واجباته.

كلما كان المجتمع متقدماً، يؤمن للفرد طرائق متقدمة لاكتساب ثقافة مجتمعه، وكلما تقدمت وسائل التعليم وطرائقه تسهم في تطوير ثقافة الفرد وتعميقها، ساعتئذ تتراكم العوامل الثقافية التي تؤهل الفرد إلى الوصول للمستوى الذي يصبح فيه قادراً على الاختيار الواعي، أي الاختيار الحر الذي يشبع قناعاته الذاتية على أن لا يتخطى دائرة حقوق الآخرين.

يتميز كل مجتمع بثقافته الخاصة، ولأن ليس كل أفراد المجتمع يقتنعون بهذه الثقافة يظهر في داخل كل مجتمع عدد من الراضين لها، كلياً أو جزئياً. هذا الرفض قد يؤدي إلى إنتاج فكري جديد، فإذا أخذ طريقة في اقتناع آخرين بصحته، يشكلون حينئذ تجمعاً ثقافياً متميزاً في داخل مجتمعهم يروجون فيه لفكرهم الجديد. فإذا كان الفكر الجديد بمستوى من العمق يجيب فيه على حل مشكلات كثيرة، فإنه يشق طريقاً لكي يأخذ موقعاً في التراث الثقافي للمجتمع بما يسهم في تطويره أو تغييره.

تصبح الثقافة الجديدة، أكثر جدية، عندما تتحول إلى مشروع سياسي قابل للتنفيذ. وهنا تتحول هذه الثقافة إلى دائرة الالتزام في داخل التجمع البشري الذي يعمل على تحقيقها.

فالثقافة الملتزمة، من هنا، تحمل عنصرين أساسيين لهما علاقة بالبعد الفلسفي للحرية، وهما : حرية اختيار الهدف، وحرية اختيار الوسيلة لتحقيقه.

لكن الثقافة الملتزمة تثير إشكالية حول مفهوم الحرية في بعدها الفلسفي وهي التالية: كيف يستطيع الفرد/ الإنسان الملتزم ان يوفق بين مفهوم الحرية الفردية، وبين القيود التي يفرضها التجمع الذي انتسب إليه؟

الحرية الشخصية/ الفردية في اختيار الهدف تحقق ذاتها، لأن الاختيار ما زال في دائرة الفكر، وقد تم دون ضغط أو إكراه. لكن المشكلة تتبع عندما ينتقل الفرد إلى المرحلة الثانية وهي اختيار الوسيلة أو الطريق الذي على أساسه سوف يعمل لترجمة خياره الفكري إلى واقع عملي، فهل يتم هذا الاختيار فردياً أم جماعياً؟

بداية، لا يمكن للفرد أن يحوّل أفكاره إلى واقع عملي دون الاستعانة بالآخر، لذلك أين يكون موقع حرية الاختيار الفردي إذا اصطدمت بحرية الاختيار عند الآخرين، وكيف يكون الحل إذا انقسم أفراد الجماعة الواحدة حول تحديد وسائل التنفيذ إلى أكثر من فريق؟

الثقافة التي تجمع أفراداً كثيرين، تتحول إلى ثقافة ملتزمة لأنها تحمل إمكانية التطبيق. وللتنفيذ شروط، ومنها: ضرورة امتلاك وسائل القوة الكفيلة بتحقيق الأهداف المختارة جماعياً. فوسائل القوة لها شروط العمل الجماعي، فإذا لم يقتنع فريق أو فرد من الجماعة بوسائل التنفيذ التي أختارها فريق آخر من داخل الجماعة الواحدة، فسوف تتواجه هذه الجماعة بعدد من الاحتمالات منها:

-إما أن ينخرط الفرد أو الفريق في التنفيذ حسب الوسائل التي اختارها الفريق الآخر، وهنا تفتقد حرية الاختيار الإرادي، وهذا ما يتعارض مع البعد الفلسفي للحرية.

-وإما أن يبتعد الفرد/ الفريق عن الجماعة لأنه غير مقتنع بالطريق الذي حدده الفريق الآخر ولأن هذا الطريق لا يعبر عن الاختيار الإرادي. وهو إذا ابتعد يكون قد أنقذ حقه في الاختيار الحر.

هذان الاحتمالان، كلاهما، يخلقان الإشكالية التالية: إذا كان النهج الثقافي الجديد/ الهدف، قد حاز على القناعة الإرادية الحرة لدى الفرد، فعلى الفرد أن يعمل لتحقيق هذا المنهج. وإذا تخلى عنه فهو قد تخلى عن قناعاته الفكرية الحرة.

فلكي لا يختل التوازن بين الحرية الفردية (في اختبار الهدف الفكري) وبين الحرية الفردية (في اختيار وسيلة تطبيقه)، جاءت نظرية الديمقراطية لكي تجيب على هذه الإشكالية.

3- البعد السياسي – الاجتماعي لـ(الديمقراطية).

جاء في القاموس الفلسفي حول الديمقراطية ما يلي: معنى الديمقراطية سيادة الشعب، وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين لا لفرد أو لطبقة واحدة منهم. ولهذا النظام ثلاثة أركان:

-الأول: سيادة الشعب.

-والثاني: المساواة والعدل.

-والثالث: الحرية الفردية والكرامة الإنسانية.

هذه الأركان الثلاثة متكاملة، فلا مساواة بلا حرية، ولا حرية بلا مساواة، ولا سيادة للشعب إلا إذا كان أفراداً أحراراً.

إن كل نظام سياسي يعتبر إرادة الشعب مصدراً لسلطة الحكام هو نظام ديمقراطي، إلا أن إرادة الشعب في الواقع هي إرادة الأغلبية فيه.

فالديمقراطية، إذن، كما جاء في الموسوعة السياسية، هي نظام سياسي- اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدئين: المساواة بين المواطنين، ومشاركتهم الحرة في وضع التشريعات التي تنظم الحياة العامة.

فإذا كانت الحرية في بعدها الفلسفي هي الإرادة الحرة على بناء مجموعة من الأفكار أو اختيارها اختياراً حراً. وشعور الفرد، بعد اعتناقه لها أو الإسهام في إنتاجها، أنه غير مقيد أو مُكرَه باختيارها أو الاعتقاد بها. وإذا كانت هذه العملية الفكرية مرتبطة بتوليد إحساس ذاتي بالسعادة والسرور، فإنما الديمقراطية تبحث عن تجسد هذا الإحساس في صورة العلاقة بين الأنا والآخر، العلاقة التي لن تولد إحساساً بالسعادة إلا إذا حافظت على التوازن، الأقرب للدقة، في تأمين السعادة الذاتية وسعادة الغير.

فالديمقراطية تفتش عن الوضع الأفضل الذي يتحقق فيه البعد الفلسفي للحرية بنتائجها الفكرية والنفسية على الأنا وعلى الآخر. فهي، بهذا المعنى، تفتش عن أفضل إطار سياسي واجتماعي ممكن يستطيع أن ينظم العلاقة بين الأنا والآخر بشكل يطلق إرادة الحرية لدى الفرد ويمنع طغيان إرادة على أخرى.

أ- الديمقراطية ذات خاصية فردية، تُعنى بحرية الفرد:

مفهوم الديمقراطية يرتبط، إذن، مع عوامل فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية. وهذه العوامل يفترض وجودها في بناء العلاقات بين الإنسان والآخر.

الفرد هو كيان مستقل بذاته، إنما عدة أفراد يشكلون مجتمعاً تتميز طبائع أفرادهم ورجباتهم وحاجاتهم، الفكرية والسياسية والاقتصادية، وكل منهم يشعر أنه يجب أن يعبر عن حريته وأن يمارسها. وحتى لا تتصادم طرائق التعبير والممارسة للحرية الفردية، جاء المفهوم الديمقراطي ليقوم بدور التوفيق بين الحريات الفردية التي بمجرد اصطفاها في إطار مجتمعي، تكتسب صفتها الاجتماعية، ثم صفتها الاقتصادية والسياسية... الخ... ويأتي الدور التوفيق بين الحريات الفردية الذي يلعبه المفهوم الديمقراطي كتسوية بين حرية الفرد وحرية الآخر ليقدم كل منهما تنازلات للآخر. وكلما كانت التشريعات قادرة على تأمين التوازن والدقة في التنازلات كلما أصبحت المعادلة قابلة للاستمرار. وكلما اختل التوازن يتخلل البناء الديمقراطي ويصاب بالاهتزاز.

فالمفهوم الديمقراطي في إطاره النظري، هو إقامة تسوية ما بين الأفراد. أما في حالة تطبيقه فتظهر صعوبة في تأمين التسوية العادلة ما بين الحقوق والواجبات الفردية، وهنا تظهر الحاجة المبدئية في أن لا تكون التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ثابتة، وإنما يجب أن تحمل إمكانية الحركة في تطويرها كلما برز الاختلال في التوازن بين الحريات الفردية.

من هذا المنظار، وكما لا تصبح مسألة إعادة التوازن، الهدف المراد تحقيقه من تطوير التشريعات، ميكانيكية مادية تدفع الفرد كي يتسلط للحصول على مكاسب على حساب الآخرين، يأتي المفهوم الأخلاقي رادعاً معنوياً، لكي يلعب دوراً ذاتياً كاجراً ضد الانزلاق في دائرة التسلط الفردي.

ب- المركزية ذات خاصية اجتماعية تُعنى بحرية الجماعة:

فالتشريعات كما الرادع الأخلاقي لا يمثلان سوى سلطة معنوية ليس لها قوة إقامة الحدود ومنع الحريات الفردية من الطغيان على الحريات العامة. لذلك كان لا بد من سلطات مركزية يتم اختيارها اختياراً حراً من قبل الأفراد، كتعبير عن الحرية الفردية، لكي تمارس قوة الرقابة على تنفيذ التشريعات الديمقراطية.

وقد تتحول مركزية السلطة إلى أداة للتسلط؛ في مثل هذه الحالة، يأتي بناء المؤسسات الديمقراطية، ووسائل ممارسة الحريات السياسية، الحل الممكن للحد من أية محاولة للمركزية بالانحدار تجاه التسلط.

وهل ليس للديمقراطية إشكاليات كونها مبدأ سياسياً خاضعاً للتطبيق؟

إن أية تسوية بين الفرد والآخر، على الأسس الديمقراطية النظرية ستكون نظرية محض إذا لم تراعى الخصوصيات الفردية. فالمسألة النظرية للديمقراطية تساوي بين جميع أفراد المجتمع على افتراض أن جميع أفراد المجتمع متساوون في

الخصوصيات والإمكانات الفكرية والجسدية. ولذلك جاء المبدأ السياسي الذي يعتمد مبدأ حكم الأكثرية. وهنا تبدأ إشكالية الديمقراطية.

إذا كانت التشريعات القانونية، والقيمية الأخلاقية، ملتزمة بمبدأ المساواة بين البشر سيبقى الالتزام نظرياً سليماً، أي سيبقى مبدأً قيماً منشوداً. ولكنه على أساس أن يتساوى جميع الأفراد بامتلاك المواصفات ذاتها. ولكن الواقع يحمل عوامل الخلل في هذا الجانب. وهذا الخلل يصبح أكثر وضوحاً إذا ما اعتمدنا حكم الأكثرية، أو رأي الأكثرية، مبدأ نخضعه للتطبيق. فماذا نجد إذا ما قمنا بتشريح اجتماعي إحصائي لنكيل به عدالة مبدأ حكم الأكثرية؟

نقول بداية أن إثارة إشكالية مبدأ (حكم الأكثرية) ليس نفياً لعدالته، فالنفي يتناقض كلياً مع مبادئ العدالة والمساواة بين البشر. بل تأتي إثارتها من أجل الإسهام في وضع خطط مرحلية لتأهيل المجتمع الذي يصبح بإمكانه تطبيق هذا المبدأ تطبيقاً سليماً.

ومن أجل الإسهام في هذا الواجب، نثير الأسئلة التالية:

-إذا كانت أكثرية المجتمع تنتمي إلى دين واحد، أو إلى مذهب واحد. وإذا كانت غير محصنة ضد الطائفية، فمن الواقعي أنها، في ظل النظام الديمقراطي، ستختار ممثليها من دين واحد، أو حتى من مذهب واحد.

-إذا كانت الأكثرية في حزب واحد تنتمي إلى طبقة العمال، أو طبقة الفلاحين، أو طبقة المثقفين الثوريين، وإذا كانت غير محصنة بوعي تنظيمي تدرك فيه ضرورة التنوع في إمكانات القيادة، فمن الواقعي أنها، في ظل النظام الديمقراطي، أن تختار ممثليها من الطبقة التي تمثل الأكثرية في مؤتمراتها.

هناك أمثلة أخرى تقتصر على ما أوردناه لنستخلص منها أن تطبيق المبدأ القيمي يجب أن يكون مسبقاً أو مترافقاً مع تعميق ثقافة المستفيدين منه ليصبحوا مؤهلين لتطبيقه بوعي.

ولكل ذلك نقول: إنه لا ديمقراطية من دون ديمقراطيين. فما هو العمل؟

من أجل ذلك، نتساءل:

-من واقع الدولة الحديثة، أي الدولة المدنية، هل يمكن أن يشكّل المفهوم الديمقراطي جامعاً مشتركاً في مجتمع متعدد الثقافات؟ بل هل يمكن للدولة الحديثة أن توحد الثقافات المتعددة بين شتى شرائحها الاجتماعية؟ وهل يمكن للثقافة الدينية أن تلتنق مع الثقافة العلمانية؟ وهل يمكن لثقافة المذاهب، داخل الدين الواحد، أن تُجمع على ثقافة ديمقراطية موحدة؟

-أو حتى في الشرائح الاجتماعية الواحدة التي اختارت النظام الديمقراطي في بناء الدولة الحديثة، هل يستطيع جميع الأفراد في تلك الشرائح، على مستوى تعددية مستوياتهم الثقافية، أن يطبقوا النظام الديمقراطي بوعي واحد، وبشكل سليم بعيداً عن الأهواء والغرضية، ومهما تعرّضوا لضغوط؟

-ومن واقع المجموع الدولي، هل تتساوى الدول القوية مع الدول الضعيفة في وعي النظام الدولي العادل الحريص على تطبيق مبادئ العدالة في العلاقات بين الدول؟

-ومن واقع الحركات والأحزاب العقيدية هل يتساوى جميع الأعضاء بمستوى الوعي الديمقراطي؟

كلها أسئلة تضيء الأجوبة عنها طريق الوصول إلى نظام ديمقراطي أقرب للتطبيق منه إلى البقاء في برج الديمقراطية العاجي. ولهذا، وفي سبيل تمهيد الطريق أمام الباحثين عن مبادئ العدالة والمساواة بين أبناء الجماعة الصغيرة الواحدة وصولاً إليها في علاقات الدول على مستوى العالم كله، أن نقوم بتقسيمها على أبواب ثلاث، وهي:

-الباب الأول: مبادئ العدالة والمساواة بين أبناء الجماعة الواحدة في الدولة الحديثة الواحدة. وهذا يشمل العلاقات الديمقراطية داخل الجماعة الواحدة كالجمعيات الأهلية أو الأحزاب السياسية، أو التيارات السياسية على شتى مشاربها.

-الباب الثاني: مبادئ العدالة والمساواة بين التيارات الثقافية المتعددة في الدولة الواحدة. كمثل الثقافات الدينية والعلمانية.

-الباب الثالث: مبادئ العدالة والمساواة على مستوى علاقات الدول في العالم.

يتمزق المجتمع العربي تياران ثقافيان متعارضان أو متناقضان، وهما: الثقافة القديمة بسماتها الدينية التي تجاوزت مهمتها الإرشاد الأخلاقي والنفسي إلى تحقيق أهداف سياسية، والثقافة الجديدة بسماتها الحداثية المدنية أو العلمانية. ولأن الثقافة القديمة تشكل الوعاء الأساسي الذي ينهل منه معظم أفراد المجتمع العربي منذ مئات السنين، ويعتبر أن الثقافة الحداثية الجديدة جاءت بالصد من ثقافة الأكثرية الساحقة من هذا المجتمع، ويعتبر روادها أن الثقافة الجديدة تشكل غزواً ثقافياً خطيراً، شنّ الرواد الأوصياء على الدين حرباً واسعة ضد الثقافة الجديدة. ولهذا السبب، وانطلاقاً من مبدأ بحثي أكاديمي، يستند إلى أنه لا يمكن وصف العلاج لمريض من دون تشخيص المرض، سنبدأ بتشخيصه انطلاقاً من البحث عن مسألتين متلازمتين، وهما موقف الإسلاميين من العلمانية والديمقراطية. وأما السبب فلأن مبادئ الثقافة الحديثة تستند في بناء الدولة الحديثة عليهما.

ولذا سنبدأ بالبحث عن المسألة الديمقراطية في ميزانها أولاً. ومن بعدها ننقل إلى البحث عن المسألة العلمانية في ميزان تلك الحركات ثانياً.

القومية العربية ليست بحاجة الى دليل او اثبات

د. بشير مواس

لم تعد القومية العربية بحاجة إلى إثبات أو دليل كهوية جامعة للشعب في كل دولة من دول الوطن العربي ولمجموع هذه الشعوب التي اطلقت عليها هذه التسمية – أي الشعوب- فقط للدلالة على الجنسية التي يحملها كل شعب يعيش على أرض عربية.

فإثبات الانتماء لأمة واحدة أصبح ورائنا ولم يعد طرح الموضوع قابلاً للنقاش إلا من باب محاولات البعض للتشكيك تقوم بها جهات مغالية في انعزالياتها وارتباطاتها بأعداء الأمة العربية.

فما هي القومية العربية: إنها من المصطلحات الحديثة في الأدب السياسي. لكن مضمونها يعود إلى عهود بعيدة في التاريخ. وهذا المضمون سبق بزمان كبير استعمالات المفردة.

فانطلاق الحضارة العربية أو بداية العرب في لعب أدوارهم في الحضارات الإنسانية كانت في القرن الثاني للهجرة إلا أن الواقع العربي في ذلك الزمان اعترته ثلاث تيارات تنازعت بهدف غلبة الواحد على الآخر وهي:

1- تيار شعوبي كان يهدف لتفكيك الدولة العربية التي نشأت بعد الفتوحات العربية الإسلامية حيث أصبح الشرق بكامله تحت قيادة العرب، فاتخذ هذا التيار عنصر التمايز العرقي والتعصب للجنس أو العرق طريقاً لوقف حركة التعريب التي هدفت لتوحيد الجماعات البشرية في الدولة العربية.

2- تيار متعصب أراد الحكام من بني أمية طريقاً لتدعيم سلطتهم واستندوا فيه على الصراعات القبلية وأصبح هذا التيار معادياً لغير العرب في الدولة والذين ينحدرون من أصول غير عربية.

3- التيار العربي القومي الذي عبر عن ضرورة توحيد الهوية لرعايا الدولة وليعكس حقيقة الواقع الجديد لهذه الدولة وتأمين مصالح أبنائها بغض النظر عن أصولهم العرقية أو خلفياتهم الثقافية والحضارية.

فاعتمد هذا التيار معياراً لا يقوم على العرقية بل على تخليص المجتمع من عناصر التعصب العرقي أو الخلفية الحضارية . ودعا إلى إقامة رباط قوي يشد أبناء الدول العربية إلى بعضهم ويفتح المجال لتمازج الأصول العرقية لتصبح تراثاً جامعاً لأبناء الدولة الواحدة. هذه الدولة الواحدة وسلطتها المركزية ساهمت في تحديد وتعميق القواسم المشتركة للشعب بمختلف أصوله ، أما وحدة الفكر والتنوع الحضاري فخلقا المناخ الملائم لبروز قسما ت وملاحم القومية العربية، وبسبب موقع الدولة العربية الذي يتوسط القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا واضطرار كل الرحلات التجارية عبور أراضيها ما أدى إلى رسم شرايين الوحدة للمجتمع العربي وهذا أيضا ساهم في الحفاظ على نمو وتطوير الروابط بين أبناء الدولة العربية حتى في فترات ضعف الدولة المركزية وبروز حالات انقسام أو تمرد في هذه البقعة أو تلك.

باختصار فإن هذه العوامل المادية والمؤثرات الفكرية والمعنوية حددت هوية الجماعة البشرية التي سكنت أراضي الدولة العربية. وأهم عناصر وقسمات هذه الهوية هي:

1- أرض مشتركة خالية من كل العقبات التي تمنع التواصل فأصبحت الوعاء الذي يصهر سكانها ويؤمن تواصلهم دون أي مانع جغرافي.

2- لغة واحدة هي العربية التي نزل بها القرآن الكريم وانتشر عند الأمم إضافة لازدياد حركة التعريب التي نمت وتعززت كخيار حر حتى لدى من ليسوا من العرب أساساً. خلال هذه الفترة أصبحت العربية لغة العلم والفكر والأدب على مدى عدة قرون.

3- تكوين نفسي يقوم على مجموعة من القيم والعادات والتقاليد التي عبرت عن الشخصية العربية فنالت احترام الآخرين وتقديرهم لها وغدت العنصر الأهم في تكوين الفكر الوجداني.

4- نمو التجارة عبر الأراضي العربية كما ذكرت جعل من انتشار التجارة باباً لانتشار الإسلام وتالياً اللغة العربية وهي لغة القرآن ووعاء الحضارة الناشئة المستنيرة والعقلانية. وبقي هذا العامل أساسياً إلى حين نجاح الاستعمار الغربي باستبدال طرق التجارة البرية بالخطوط البحرية.

وهكذا أصبحت الجماعة العربية تمتلك أهم مقومات تعزيز حضارتها التي جعلتها قومية عربية واحدة.

لكن هذه الفترة التي شهدت ولادة القومية وبدأت نموها لم تستمر طويلاً فقد اعترضتها مجموعة من العوامل الخارجية التي عملت على إيقاف النمو بل شكلت خطراً حقيقياً ومحاولة للقضاء عليها.

وكان أولها الحروب الصليبية التي تحت ستار الدين والدفاع عن الأماكن المقدسة وقامت بغزو عسكري استعماري مؤلته الممالك والإمارات الأوروبية

المختلفة وغدت روحه الكنيسة الكاثوليكية التي لم تكن ترتاح لانتشار العقلانية العربية الإسلامية في مقابل ادعاءاتها الخرافية ومحاولة لعب دورها المقرر في مصير شعوب أوروبا المسيحية. فوصل الفرسان الأوروبيون إلى قلب الوطن العربي في سوريا وفلسطين وشمال العراق وهددوا مصر والمغرب.

ولأن الوضع كان يتطلب استعداداً عسكرياً قوياً صادف ان تقوم به وتقوده عناصر غير عربية، لذلك وقيل اكتمال عناصر الشخصية العربية وتمتعها بالقوة المنبئة فتوقف النمو الحضاري والفكري والثقافي وسيطر عسكر الممالك الذين ظهروا منذ القرن التاسع الميلادي واصبح وجودهم ودورهم أمراً مألوفاً وخاضت المؤسسات العسكرية حروبها ضد الصليبيين وسيطر الممالك بأنواعهم من الدولة الزنكية وما تلاها حتى كانت السيطرة العثمانية على اغلب أجزاء الدولة العربية في آسيا وأفريقيا والتي استمرت أربعة قرون فكانت العامل الأشد والأقسى الذي أضعف عناصر الوحدة وملاحمها.

لا شك ان انتصارات العسكريين ضد الغزو الصليبي أطال عمر الأنظمة التي نشأت على اثرها. والتي تولتها قيادات غير عربية.

ولان لنا مع أوروبا تاريخ من الصراعات سواء في المشرق أم في المغرب ظهرت موجة جديدة من الاستعمار أو رغبة قوية في الهيمنة الأوروبية على دول الشرق العربي وكذلك دول المغرب العربي.

جاءت بعد ذلك حملة نابليون بونابرت بعد انتصار الثورة الفرنسية لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الانتكاس في الواقع القومي الذي لم يستطع ان يواجه

العتاد الأوروبي الحربي بسبب انه كان ما يزال يخضع لبقايا آثار المماليك ثم للاحتلال التركي تحت ستار الدولة العثمانية الإسلامية.

صحيح ان دولاً أوروبية أوهمت العرب أنها تقف إلى جانبهم ضد الاحتلال النابليوني وكذلك ضد الدولة العثمانية لكن هذا الموقف كان يصب في خدمة هذه الدول في صراعها مع المحتلين أي أنها حرب نفوذ وهيمنة من هنا انطلقت ما تسمى المسألة الشرقية. التي تصارعت بسببها بريطانيا مع فرنسا ومع الدولة العثمانية دون ان ننسى دور روسيا القيصرية مما عزز بشكل غير مباشر ظهور دعوة جديدة اكثر وضوحاً في الرؤيا والهدف دعوة إلى العروبة والى القومية العربية من خلال نشأة العديد من الجمعيات الفكرية والثقافية وحتى السياسية التي أصبحت حركة قومية عربية امتلكت رؤيتها لبناء الدولة العربية الموحدة في مواجهة حملات التتريك والتغريب. رغم ان بعض هذه الجمعيات ذهبت نحو اطلاق فكرة الجامعة الإسلامية التي تخطت العقيدة القومية العربية.

العرب الشيعة ولا الأتراك الباحثين عن أمجاد غابرة يعملون لصالح العرب السنة. نعم ان الصراع اليوم أخذ بعداً مذهبياً لكنه في حقيقته ليس كذلك وان خيل لنا ان الخلافات السياسية في لبنان هي ذات خلفية طائفية لا مذهبية فالحقيقة ان هذه القوى الإقليمية ووراءها القوى الدولية لها أدواتها في الوطن العربي تحركها كيفما شاءت في سبيل تحقيق أهدافها وخططها ضد الأمة العربية بكاملها.

ان قوى الإسلام السياسي العربية التي تراهن على الدور التركي والتي تحلم بعودة أمجاد الإمبراطورية العثمانية السنية تعمل في الحقيقة ضد مصالح الشعب العربي وضد مصالح الأمة الاستراتيجية وكذلك القوى الإسلامية التي تقاوت تحت لواء ولاية الفقيه الإيراني توغل في زرع التفرقة بين أبناء الشعب الواحد وتعمق التباين السياسي ذي الخلفية المذهبية مما يلحق الضرر بالوطن بكامله.

ان ادعاء إيران بمحاربة العدو الصهيوني لا يترجم بتفتيت أكبر دولة مركزية في الشرق وتخريبها وجعلها أشبه بدولة العصور القديمة القائمة على القتل والإخضاع وإفقار الشعب ونهب ثرواته.

ولعل ممارسات إيران في العراق وفي سوريا تحمل في طياتها أسباباً وجيهة لإدانتها من قبل الأمة العربية بكل طوائفها وأقطارها.

، إن مفاهيم القومية العربية ستعود وتزهر بعد غياب قسري سببته الهجمات المتكررة عليها واني وان كنا لا نراهن على موقف النظام العربي الرسمي في حل مشاكل الأمة لأنه جزء من أسباب هذه المشاكل. وبالتأكيد لم

نكن ننتظر من اي قمة عربية عقدت في الماضي او تعقد في المستقبل ان تعلن الحرب على الكيان الصهيوني أو الولايات المتحدة، أو ان تلجأ إلى كشف كل خيوط المؤامرة التي يعرفها كل القادة العرب، كما يعرفون ان البعض منهم متواطئ ومشارك فيها، وبالرغم من الخطاب الوجداني الظاهر على السطح والمجاملات البروتوكولية، ويعلمون انه تجري عملية تدمير نصف الدول العربية بأموال نصفها الآخر. ولكن شعور الدول العربية باقتراب الخطر الإقليمي الفارسي –الصهيوني

وربما التركي واستعمالها لمفردات تتحدث عن الأمة العربية والأمن القومي العربي هي حاجة مؤقتة من شأنها ان تحل محل مفردات ومصطلحات هيمنت لنحو ثلاثين عاماً وتركزت حول التسليح بمفاهيم دينية ومذهبية وهذا من شأنه ان يضع جانباً مشروع الإسلام السياسي المدعوم من الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأميركية ومدعوم أيضاً من أصحاب مشاريع قومية إقليمية معادية للقومية العربية تدعم هذا المشروع في سوريا ولبنان ومصر واليمن والبحرين وربما تنتقل العدوى نحو دول الخليج وعلى رأسها السعودية أو الكويت. فالفوضى الخلاقة لا تعرف قواعد تعامل ثابتة وهدفها التقسيم والتفتيت ولو أنت أحياناً تحت مسميات الربيع العربي.

لقد تطرق الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي لهذه الناحية في خطابه الأخير بذكرى 7 نيسان الثامنة والستين حول حقيقة ان امتنا أمة واحدة أرضاً وشعباً وتاريخاً وحضارة وقد جزأها الاستعمار البغيض ورسالة الأمة خالدة ما بقيت هذه الأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وقد حمل الأمين العام المسؤولية للمتقنين والسياسيين المستبشرين بسبب قلة إيمانهم وقصور نظرهم إلى الأمة المسؤولية لانهم انزلوا يستنجدون بالفكر الإسلامي

الطائفي التكفيري لإنقاذ الأمة وحل مشاكلها وتناسوا ان اعدى أعداء الأمة هم أصحاب الفكر المتخلف المنحرف الذي لا يعترف بوجود الأمة.

نحن نعرف جيداً ان ليس هناك من حلول جاهزة لأزمة الأمة المستعصية، وليس هناك من سيحقق نصرها ضد أعدائها سوى تمسك أبنائها بعقديتهم القومية ونضالهم لتحقيق أهدافها الإنسانية من اجل ان تأخذ دورها بين باقي أمم الأرض.

ان عقيدة العروبة ترشدنا إلى الطريق لكنها لا تحمل في طياتها التفاصيل الصغيرة فعلى القوميين العرب وفي طليعتهم المناضلين البعثيين وغيرهم من العروبيين ان يرسموا الطريق والتفاصيل وفق تجربتهم النضالية كما حصل في تجربة البعث في العراق الشقيق التي بدأت تشع على كل الوطن العربي. ومن اجل ذلك تأمروا عليها منذ عام 1968 لغاية عام 2003 وبعدما يسوا من إمكانية تحقيق هدفهم بالواسطة او بشكل غير مباشر قاموا بالعدوان العسكري المباشر والاحتلال وجوبها بمقاومة لم يسبق ان حصل مثلها في تاريخ الاحتلال لناحية سرعة انطلاقها وفعاليتها في طرد المحتل كل ذلك يعطينا الأمل بغد مشرق عزيز وبأن الأمة على حق.

فليس للياس مكان بيننا

لكن الشوائب والغيوم ما لبثت ان زالت عن الفكرة القومية فتبلورت من خلال صلابة في الطرح القومي العربي وأججت روح الثورات والانتفاضات في الأقاليم التي تحتلها الدولة العثمانية وكان هذه الطرح تعمم على أدبيات السياسة العربية التي ساهمت في رفع شعار الدولة الواحدة المجسدة للقومية الواحدة.

وبرغم محاربة التيارات الإسلامية و بعض مفكريها للفكرة القومية واعتبارها غطاءً لتأمر خارجي فان القومية استمرت في التطور وأصبحت مفردة دائماً من مفردات نضال الشعب العربي من مشرقه إلى مغربه.

وبدل ان تؤثر هذه الطروحات الدينية سلباً على القوميون العرب فعلى العكس فقد استعان العروبيون بهذه الطروحات ليؤكدوا على صواب نظرتهم وسلامة عقديتهم. فالقرآن عربي وحامل الرسالة النبي محمد عربي ولغة أهل الجنة عربية يضاف لذلك ان هناك من بين أعداء العرب من هم مسلمين أعاجم واثراك وغيرهم. بحيث لم يشفع دين العرب في حمايتهم من هؤلاء.

بعد هزيمة الأتراك العثمانيين ومساهمة العرب فيها اطل استعمار جديد برأسه فحل محل العثمانيين وكان يتطلع أصلاً لوراثتهم في الهيمنة الاقتصادية على الأمة وجعلها سوقاً استهلاكية له وجعل ثرواتها وخيراتها ومقدراتها تحت سيطرته. فسيطر الإنكليز والفرنسيون والإيطاليون كورثة للاحتلال العثماني وأقاموا حواجز التقسيم داخل الوطن العربي وتقاسموا النفوذ على الأراضي العربية في محاولة لتشتيت الثقافة العربية ومحو التاريخ العربي من خلال الحاق هذه الأراضي بثقافات متعددة يخضع كل قطر عربي منها لنوع من هذه الثقافات.

فأصبح السوريون بما فيهم اللبنانيين فرنكوفونيين، والعراقيون والفلسطينيون انكلوفونيون. واللبيون أصحاب ثقافة إيطالية الخ... وعمل هؤلاء على إقامة الحواجز المصنعة وقسموا الوطن إلى أجزاء وسهروا على تنفيذ مخططاتهم ورعايتها لكي تؤتي ثمارها. وكلنا نعرف (سايكس بيكو) ومحاولة فرنسا في الجزائر واعتبارها أرضاً فرنسية ونعرف دور بريطانيا في الخليج وتقسيمه الى كيانات اسموها الامارات - المشيخات وفي فلسطين حيث سهلت وصول اليهود من الغرب والشرق إليها لإقامة الكيان الصهيوني الموعود.

كل ذلك كان بهدف إطفاء أو إضعاف عوامل توحيد الأمة في أرضها وشعبها.

وها نحن اليوم بعد تنفيذ المخطط وخروج المستعمرين نجد أماننا ما يزيد على اثنين وعشرين دولة عربية بما فيها دولة فلسطين التي اغتصبها اليهود الصهاينة. هذه الكيانات أو الدول العربية يتهددها خطر آخر بهدف تقسيمها مجدداً إلى دويلات طائفية ومذهبية وعرقية تحت مسميات مختلفة تبدأ بحقوق الأقليات كالأكراد في شمال العراق أو سكان جنوب السودان أو البربر في شمال افريقيا ولا تنتهي بما يسمى الربيع العربي أو الثورات العربية.

من الواضح جداً ومن المسلم به ان الأمة العربية ومنذ أمد بعيد كانت مطمئناً لكل القوى الإقليمية المحيطة بها حليفة القوى الدولية وأداتها أو شريكها في هذه الأطماع فالأمة العربية تتوسط شرابين التواصل والنقل المائي عبر محيطات وبحار ومضائق وزادت هذه الأطماع عندما تحولت الصحراء العربية في المشرق والمغرب إلى كنز نفطي يمد العالم الصناعي بالطاقة اللازمة . فعمل على استغلالها لتوسيع نفوذه وزيادة هيمنته على بقية أجزاء الكرة الأرضية. وهذه الأرض التي اصطفاها الله لبيعث رسله ونبيهه فيها نظر إليها العالم القريب والبعيد نظرة الحسد فجاء الصليبيون بادعائهم الكاذب لحماية قبر المسيح من المسلمين وجاء بعدهم العثمانيون الأتراك تحت ستار حماية الأماكن الإسلامية المقدسة والدفاع عنها بوجه الكفار الغربيين ولحقهم الفرس الإيرانيون واتباعهم من مدعي الدفاع عن أهل البيت من المذهب الشيعي وهو منهم براء.

فأصبحت الأرض المقدسة حيث هبطت الرسالات السماوية الثلاث تواجه شياطين الأرض بكل أنواعهم من فرس مجوس وتار مغول وصليبيون وأوروبيون وعثمانيون أترك وعلى رأسهم جميعاً الغربيون الذين وطدوا دعائم الصهيونية على ارض فلسطين وزرعوا لنا هذا السرطان الدائم في الجسم العربي لتأتي الامبريالية الأميركية مؤخراً فتضع يدها على الثروات العربية وتخترع لنا ما اسمته الفوضى الخلاقة لتفتيت أوصال الأمة وتتصيب العدو الصهيوني قائداً للشرق الأوسط الجديد حيث تنتهي مقولات القومية والأمة حسب ظنهم وزعمهم.

إن هذا الشيطان المتعدد الجنسيات والمتنوع الوجوه والعنوين صار همه ان يطبق سياسة فرق تسد فهو ان ارتدى الثوب الفارسي أو العثماني أو الصهيوني وحتى الثوب الأطلسي، فإنما هدفه واحد معتمداً على كتاب ماجورين ورؤساء تابعين يتربعون فوق أنظمة خائنة لبلدانها وأمتها. ولعل محور هذه النشاطات هو تقطيع الأوصال وتقسيم المقسم للاستيلاء على الأمة ومقدراتها وتمكين الصهيونية العالمية من تحقيق حلمها بإقامة إسرائيل الكبرى لتكون اقوى دولتين هذه الكيانات المقسمة.

يبدو للوهلة الأولى ان هذا الهدف غير قابل للتحقيق الآن. لكن نظرة معمقة للوضع العربي تثبت إمكانية تحقيقه على مراحل. فلا هدف استراتيجي يتحقق سوى بخطوات تكتيكية ومرحلية. أليس احتلال جزء من فلسطين وإقامة الكيان الصهيوني على أراضي 1948 كان الخطوة الأولى نحو السيطرة الكاملة على كل فلسطين بما فيها القدس وأجزاء من سوريا والأردن ومصر وجنوب

لبنان. ألم تدعي الدولة الصهيونية بأن لها في العراق بعد احتلاله حقوقاً تاريخية تعود لليهود منذ آلاف السنين؟

إن تكاملت الأطماع الدولية مع الأطماع الإقليمية لتحقيق الأهداف المشتركة في العراق. سلخت بريطانيا إقليم الأهواز العربي ومنحته لإيران وسلخت محافظة الكويت العراقية وجعلت منها محمية بريطانية ثم حولتها الى دولة و في سوريا سلخت لواء الإسكندريون وسلمته لتركيا. ودون الدخول في تفاصيل وآليات هذه الاعتداءات يظهر جلياً ما تعانيه الأمة العربية والقومية العربية كفكرة تاريخية وحضارية من عدوان مستمر منذ قرون.

ألم يكن حكم شاه إيران هو العدو الأول للقومية العربية، ألم تقم إيران بلعب دور القاعدة الأساسية للتأمر من أجل إسقاط حكم الرئيس عبد الناصر الذي نادى بالوحدة العربية من خلال حلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد والتحالف مع الكيان الصهيوني.

بعد وصول حزب البعث العربي الاشتراكي للحكم في العراق تابع الشاه سياسة العداء تجاهه فاحتل الجزر العربية ودعم مع الكيان الصهيوني التمرد الكردي في الشمال مما اضطر الحكم الوطني لعقد اتفاقية مع الشاه حول شط العرب واتفاقية مع البارزاني لإنهاء النزاع العراقي – العراقي في شمال البلاد.

ولما انتصرت ثورة الشعب الإيراني على حكم الشاه وبدأ حكم خميني ظن الجميع ان هذا الحكم الإسلامي سينفتح على جيرانه العرب ويمد لهم يد التعاون من خلال علاقات متوازنة مع العراق. فماذا حصل؟ لم يمر سوى شهرين على وصول خميني حتى صرح بما يلي وحرافياً في 1980/4/19 " على الشعب

العراقي ان يحرر نفسه من برائن المعادين ومن الواجب على الجيش والشعب العراقي ان يتغلب على هذا الحزب غير الإسلامي في العراق "

وفي 1980/4/23 صرّح بما يلي "تمر الشعوب الإيرانية وبخاصة الشعب العراقي – هنا اعتبر الشعب العراقي جزءاً من الشعوب الإيرانية– على هذه المصائب الكبرى التي تحل بالإسلام وأهل بيت رسول الله دون ان تأبه لذلك وتفسح المجال لحزب البعث اللعين كي يقتل مفاخرهم ظلماً والأعجب من ذلك ان يكون الجيش العراقي وسائر القوى النظامية اكثر بيد هؤلاء وان يسانداهم على هدم الإسلام والقرآن."

ألم تكن أول خطوة بعد الاحتلال الأميركي للعراق هي حل الجيش وكان هذا الاحتلال ينفذ رغبات إيران ويهيئ لها الأرضية لبسط سيطرتها على العراق بعد تجريده من أدوات القوة وهي الجيش العراقي وحزب البعث الذي خضع لعملية اجتثاث دموية لم يتعرض لها أي حزب في تاريخ الاحتلال والحروب.

وماذا عن الصراع في سوريا؟ أليس صراعاً بين دولتين إقليميتين من أجل السيطرة على هذا البلد العربي. ان انخراط إيران مباشرة في الحرب عبر ما يسمى الحرس الثوري أو إرسال حزب الله أو ضخ الأموال الطائلة والأسلحة والذخائر للنظام مقابل الدعم العلني الذي تقدمه تركيا وبعض الدول العربية للمعارضة في معركتها مع هذا النظام يعكس صراعاً إقليمياً على سوريا وسباقاً دموياً للسيطرة عليها.

ومخطئ من يظن ان احدى هاتين القوتين الإقليميتين تعمل لصالح الأمة أو حتى لصالح الفئة التي تعتنق نفس المذهب فلا الإيرانيون يعملون لصالح

انضمام الدول النامية لمنظمة التجاره الدولية بين تقاطعات السياسة والاقتصاد

د. إبراهيم عوض البارودي

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية في العام 1945م بدأت تتشكل ملامح نظام دولي جديد في السياسة والاقتصاد الدوليين كانت اول ملامحه مايعرف بـ Marchal Plan الذي سعت من خلاله الولايات المتحدة الامريكية الى فرض هيمنتها على الاقتصاد الدولي وأسست مايعرف بمنظمات بريتون وودز التي تضم البنك الدولي وصندوق النقد الدولي للهيمنة على النظام المالي في العالم و حاولت اعتماد الدولار الامريكي بديلا لمعيار الذهب في المعاملات المالية الدولية .

هدف النظام الدولي الجديد الى تعزيز قيمة الرأسمالية لتعظيم قيم الربحية المطلقة على حساب القيم الاجتماعية والتكافلية مما أدى الى نمو اقتصادات الدول الغربية على حساب الدول الفقيرة من شعوب العالم الثالث وذلك عن طريق استغلال الموارد الخام التي تذخر بها دول العالم الثالث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وتحويلها عبر آلة الصناعة الغربية الى مواد مصنعة يعاد بيعها بأسعار عالية بنفس دول المنشأ الفقيرة .

ظلت هذه السياسة ناجحة وأسهمت في ثراء وتطور دول الغرب التي كانت تستعمر دول العالم الثالث وتنهب مقدراتها من الثروات الطبيعية حتى شهد منتصف القرن الماضي ثورات وطنية مما أدى الى طرد المستعمرين الغربيين وإقامة حكومات وطنية كان الأمل أن تضع حدا لسياسة الاستنزاف الاقتصادي وتنهض اقتصادياتها الوطنية إلا أن المعسكر الغربي المنحدر اخذ يخطط لنوع جديد من الاستعمار الاقتصادي ليتمكن من مواصلة الحصول على المواد الأولية الزراعية والمعدنية لتحريك عجلة الصناعة الغربية التي حرصت على عدم تمكين الدول المستقلة من أسبابها.

بعد فراغ الدول الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى من إقامة المؤسسات السياسية الدولية التي تضمن سطوتها وتفوقها السياسي على بقية دول العالم مثل (الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي المعروف بنظامه العنصري الواضح عن طريق منح الدول الخمس الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض , عمدت هذه الدول الكبرى الى بناء منظمات دولية اقتصادية تمكنها من تجاوز أية عقبات يمكن ان تضعها الدول المتحررة أمام الدول الكبرى في سبيل الحصول على موادها الأولية وثرواتها الطبيعية التي تفتقر معظم الدول الغربية لها ولا تقوى على البقاء بغيرها .

دعت دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة كل دول العالم الى الإنضمام إلى معاهدة إقتصادية دولية في العام 1947م عرفت بالإتفاقية العامة حول التعرفة والتجارة (GATT). واجهت هذه الاتفاقية اعتراضات من بعض دول العالم الثالث ومجموعة الـ77 التي نادى بتجارة دولية عادلة تراعي الفوارق التنموية بين دول العالم الثالث والدول المتقدمة ورفعت شعار (Trade Not Aid) أي تجارة وليس عون لوقف الحيل المتكررة من دول الغرب التي ظلت تقدم المعونات الاقتصادية لبعض مستعمراتها السابقة بهدف الحصول على مكاسب أكبر عبر صيغ تجارية غير متكافئة وغير عادلة.

تطور النقاش حول (GATT) عبر مايعرف بمفاوضات اورغواي من العام 1986م حتى 1994م لتؤدي في النهاية الى قيام منظمة التجارة الدولية (WTO) في العام 1995م.

جاء ميلاد منظمة التجارة الدولية مع بداية انهيار المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي وبعد زوال الطبقة الصناعية وانفراد المعسكر الرأسمالي بقيادة العالم لفرض قواعد نظامه الجديد .

الأوضاع الاقتصادية الدولية عند نشأة منظمة التجارة الدولية

مع مطلع التسعينيات من القرن الماضي اشتدت حمى التنافس الاقتصادي وارتفاع نسب النمو الاقتصادي في معظم دول العالم وسادة نظام العولمة والتحرير الاقتصادي الذي تجلت آثاره على الحياة السياسية والاجتماعية والامنية لشعوب العالم وزادت سطوة الشركات متعددة الجنسيات كاهم اداة من ادوات العولمة وذلك لقدرة هذه الشركات الهائلة في مجالات التجارة الدولية, واصبحت الشركات متعددة الاطراف كيانات تضاهي في اهميتها بل وتفوق احيانا الدول القطرية مما حدى بأرباب النظام الدولي الجديد من التعدي على مفاهيم مثل السيادة الوطنية والدولة القطرية وحماية الاقتصاد والملكية العامة الشيء الذي تجلى في ظواهر مثل اقتلاع الانظمة السياسية وفرض نظام العقوبات السياسية والاقتصادية ومحاصرة الانظمة وإشعال الحروب والفتن القومية في الدول النامية .

هدف كل ذلك من اجل حماية الشركات الدولية ونمط الاقتصاد الحر الذي يؤدي انهياره الى نتائج كارثية لدول الكبرى تنعكس على الحياة العامة في مجتمعاتها وتؤدي الى العطالة وانحساب الدخل القومي وتدني مستوى المعيشة.

وقد شهد العالم نموذجا لهذا الكساد الاقتصادي خلال الازمة الاقتصادية التي ضربت الدول الراسمالية وتجلت تأثيرها الواضح في النور الاسيوية وغيرها بمستويات متفاوتة خلال تسعينيات القرن الماضي . وقد كان تأثير الازمة كبيرا حتى على دولة مثل امريكا اذ تهاوى نظامها المالي وافلست كبرى شركاتها ومصارفها ونعكس ذلك بدوره على بقية دول العالم.

وكل ما سبق ذكره ادى الى البحث عن نظام تجاري دولي يقوم على استراتيجية دولية للتسويق وذلك لضمان تدفق السلع والخدمات عبر اكثر من دولة واهم وسائل هذه الاستراتيجية :

التصدير

التراخيص

الاستثمار

ومن هنا جاء التفكير في انشاء منظمة لتجارة الدولية باعتبار ان التجارة الدولية في عالم اليوم اصبحت ركيزة اساسية في عملية التنمية الاقتصادية للدولة حتى تسهم مع غيرها من الدول في رفع مستوى المعيشة وتحقيق رفاهية شعبها .

أهمية التجارة الدولية للدولة النامية:

لا غنى لاية دولة نامية في عالم اليوم عن النشاط الاقتصادي والتجارة الدولية اذ ان اهداف التنمية القطرية لا تتحقق من غيرها. حيث تحتاج الدولة النامية الى استيراد السلع والاجهزة والمعدات وادوات الانتاج اللازمة لتحقيق برامجها التنموية كما انها تحتاج الى تسويق منتجاتها الوطنية ولن تتمكن من ذلك الا عن طريق الدخول في معاملات تجارية دولية . لذلك تصيح التجارة الدولية ليست مجرد الية مهمة للدولة فحسب بل يناط بها الدور الاساسي في تحقيق التنمية , اذ لا بد من رفع قدرة الدولة النامية على الاستيراد و التصدير بشكل متوازن للحفاظ على ميزانها التجاري والحيلولة دون تدهور معدلات تبادلها , فكلما زادت قدرة الدولة على التصدير كل ما زادت قدرتها على الاستيراد وزيادة معدل النمو الاقتصادي , فالاستيراد والتصدير هما قدما التنمية اللتان تمشي عليهما الدولة النامية حتى تصل الى التنمية المستدامة.

خلاصة القول هذا ان التجارة الدولية تزيد من قدرة الدولة الانتاجية عبر الاضافة التي تحدث لراس المال وهذا بدوره يزيد من قدرتها على المنافسة.

وحتى نبين ما ذهبنا اليه بشئ من التفصيل نورد بعض الفوائد التي تصيب الدولة من عملية الاستيراد والتصدير .

فوائد الاستيراد:

زيادة العرض وتنوعه وإنخفاض السعر .

الإسهام فى زيادة نمو الدخل القومى.

الحصول على السلعة بكلفة أرخص من كلفة إنتاجها محليا.

معرفة الميزات النسبية التى تتمتع بها الدولة لانتاج السلع وتصديرها الى العالم الخارجى مما يمكنها من تسديد قيمة وارداتها.

فوائد التصدير:-

اهم وسيلة لتمويل واردات الدولة.

توفير مورد مستمر للاستثمارات الرأسمالية.

تنمية الصناعة المحلية وتخفيض كلفة الانتاج.

تحديد أسعار أقل للسلعة المحلية.

رفع القوة الشرائية من خلال زيادة الاجور وتوفير فرص عمل فى صناعات التصدير.

توفير أسواق خارجية للسلعة التى قد تتعرض للكساد فى السوق المحلى.

الاستفادة من دورة التجارة فى الدول الاخرى حيث تكون بعض الدول فى أشد الحاجة الى بعض السلع التى تنتجها دولة

اخرى وفقا لدورتها التجارية.

تحقيق التوازن فى ميزان المدفوعات عن طريق الحصول على العملات الصعبة التى ترفع قدرة الميزان التجارى.

فوائد التبادل التجارى:-

إستغلال عناصر الإنتاج بفعالية أكثر.

زيادة وتعظيم الإنتاجية.

الاستفادة من الاساليب والتقنيات الجديدة فى عملية الانتاج.

التخصصى الدولى

وهو التركيز على السلع التى يمكن إنتاجها وتسويقها بصورة أفضل من غيرها وإستيراد السلع المطلوبة للسوق المحلى.

إستغلال الفرص التسويقية فى الاسواق الخارجية.

تطوير أساليب التسويق والتجارة الخارجية لرفع القدرة التنافسية للمنتج المحلى.

تحديات التجارة الدولية:-

إن الدولة ممثلة فى الحكومة هى المخطط الاساسى لعملية التبادل التجارى فهى تضع السياسات والبرامج لدعم وتنشيط أعمال التبادل التجارى التى قد تنفذ كليا أو جزئيا بالاشتراك مع القطاع الخاص. كما توفر الدولة الغطاء القانونى والتشريعى عبر سن القوانين المنظمة لأعمال التجارة وذلك لتمكين منتاجتها من المنافسة فى الاسواق العالمية وهى مسئولة عن تشجيع الشركات الخاصة للدخول فى عمليات التصدير والإستيراد.

العولمة الاقتصادية:-

إن مصطلح العولمة هو فى أصله اقتصادى إذ انه يعنى تدويل عملية الإنتاج وإعادة الإنتاج وذلك بتدويلالمنط الرأسمالى للاقتصاد وإعتماد صيغة تبادلية موحدة فى نظام عالمى غير متكافئ يشمل كل مجالات العمل الاقتصادى والتجارى الدولى.

أهم عناصر العولمة الاقتصادية:-

السوق المفتوحة وإزالة كل القيود امام حركة السلع والخدمات ورأس المال.

إعتماد صيغة الكيانات والتكتلات الاقتصادية والتحالفات التجارية الاستراتيجية بين الدول والشركات بحيث يصبح الاكبر هو الافضل.

تعظيم دور المؤسسات المالية مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى بحيث يصبح التحكم فى تمويل عملية التنمية للدول النامية أمرا مرتبطا بالشروط والاملاءات التى تلائم مصالح الدول الكبرى.

تعظيم دور التقنية وتأثيرها على الاقتصاد العالمى وذلك باعتماد النظم المعلوماتية وسيلة أساسية وموردا مهما للاقتصاد.

زيادة قدرة المنظمات الاقتصادية على التوسع والإنتشار داخل الدولة القطرية بسبب إنحسار القيود وسلطات الدولة فى مواجهة تحديات العولمة.

منظمة التجارة الدولية وعاء العولمة الاقتصادية:-

أدت المحاولات المتكررة من قبل القوة العظمى لعولمة الخدمات المالية على المستوى العالمى الى خلق إطار يؤسس لهذه العولمة فى منظمة التجارة الدولية وذلك لاتاحة اكبر قدر من الحرية لحركة الخدمات والسلع أدى هذا الواقع الى تأجيج روح المنافسة فى الاسواق المالية مما فرض على الدول ان تعدل سياسياتها الاقتصادية لتواكب متطلبات العولمة.

من أهم المتغيرات والتحديات التى تفرضها منظمة التجارة الدولية التخلّى عن سياسات الحماية والدعم للاقتصاد المحلى بهدف زيادة القدرة التنافسية للمنتج المحلى فى الاسواق العالمية.

عضوية منظمة التجارة الدولية:-

يحق لكل دولة عضو فى منظمة الامم المتحدة الانضمام الى منظمة التجارة الدولية على أن تلتزم باتفاقيات ال(GATT) وحتى تاريخ تحولها الى منظمة التجارة الدولية.

تمنح الدولة المنضمة حديثا فترة إنتقال عشر سنوات للتطبيق للاتفاقيات والشروط الخاصة بالتجارة الدولية.

مبادئ المنظمة:-

مبدأ عدم التمييز ويعنى عدم تمييز دولة بمنحها إمتيازات خاصة دون الدول الاخرى فى التبادل التجارى وذلك حتى تتساوى كل الدول فى فرص المنافسة فى الاسواق العالمية.

مبدأ الشفافية ويعنى أن تبتعد الدولة عن القيود الكمية فى التعرفة الجمركية مثل تحديد الحصص للإستيراد.

مبدأ المفاوضات التجارية أى تنصيب منظمة التجارة الدولية حكما ومرجعيا وحيدة فى تسوية المنازعات التجارية بين الدولو الاعضاء.

مبدأ المعاملة التجارية التفضيلية ويعنى منح الدولة النامية علاقات تجارية تفضلية مع الدول المتقدمة ودعم إقتصادياتها وبرامجها التنموية.

مبدأ التبادلية وهو أن تقوم الدولة بتحرير التجارة الدولية أو تخفيض القيود عليها فى مقابل السياسة التبادلية بمعنى أن كل تخفيف للحواجز الجمركية للدولة العضو يقابله تخفيف فى القيمة من الجانب الاخر حتى تتم المحافظة على نسبة المعادلة فى الفوائد المتبادلة . وتتم العملية التبادلية من خلال التفاوض وتعتبر النتائج التى يتم التوصل إليها ملزمة للدولة ولا يجوز تعديلها الا عبر مفاوضات جديدة.

أهداف المنظمة:-

تحقيق حرية التجارة الدولية وذلك بازالة كافة القيود والحواجز التعريفية وغيرها والقضاء على كل صور المعاملة التمييزية والاحتكارية فى التبادل التجارى .

إيجابيات التجارة الدولية الحرة:-

تكامل إقتصاديات الدول الغنية مع الدول الفقيرة فى سوق عالمية مفتوحة قائمة على مبدأ التنافس الحر وليس الاحتكار.

إتاحة الفرصة لدخول رؤوس الاموال والاستثمارات الاجنبية.

زيادة حجم الطلب على الناتج المحلى وسهولة تسويقه.

الاستفادة من الثروة المعرفية والمعلوماتية بما تتيجه من سهولة التواصل وتسهيل حركة إنتقال الاموال والسلع والخدمات.

إتاحة حرية أكبر للقطاع الخاص عبر عمليات الخصصة مما يشجع على إغلاق المبادرات الفردية والخاصة.

سلبيات التجارة الدولية:-

تعميق التفاوت فى توزيع الثرة والدخل بين الناس فى الدولة الواحدة وتعظيم قيم الحياة الاستهلاكية .

السيطرة على موارد الدول النامية وموادها الخام والحصول عليها بأرخص الاثمان فى مقابل أغراق اسواقها بالسلع المستوردة.

تركز الثروة المالية فى يد القلة (328 ملياردير فى العالم يملكون أكثر من نصف ثروة سكان العالم و20% من دول العالم تستحوذ على 85% من جملة الناتج المحلى العالمى وعلى 84% من التجارة العالمية و85% من المدخرات العالمية).

أضعاف سلطة الدولة المركزية وإنهاء دور القطاع الحكومى فى إدارة الاقتصاد ومايتبعه ذلك من إخلال بالسيادة الوطنية والتضرر لقطاع واسع من الشعب بسبب رفع دعم الدولة عن السلع الاساسية.

خلاصة القول أن الدول النامية الفقيرة أضحت غير قادرة على مواجهة الإبتزاز السياسى والاقتصادى للدول المتقدمة الغنية التى تقود حركة العولمة والتجارة الدولية وذلك لعدم إمتلاكها أوراق تفاوضية مما سيسهم فى تفاقم إزماتها السياسية والاقتصادية ويتجلى ذلك فى الهيمنة القرضية على إقتصاديات العالم من خلال القضاء على سلطة الدولة الوطنية بفصلها ورفع يدها عن حركة الاقتصاد والتبادل بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولى تستجدى منه المعونة عبر القروض ذات الشروط المجحفة (لازالت دولة مثل السودان ترزح تحت سطوة ديون صندوق النقد الدولى التى بلغت مع أرباحها مايقارب خمسين مليار دولار).

أسباب قيام الثورة الفلسطينية الكبرى وبروزها في مناطق لواء نابلس 1936 _ 1939

أ. عبدالعزيز أمين عرار

تعددت الأسباب في انفجار ثورة شعب فلسطين، وما من شك أن أهمها مناصرة بريطانيا لليهود من أجل إقامة وطن قومي على حساب العرب، وما نتج عنه من تدهور في جميع مناحي الحياة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية، والطبيعية، وغلبة الشعور عند العربي أن فلسطين سائرة باتجاه أن تصبح يهودية كما هي بريطانيا إنجليزية، بفعل جملة سياسات استعمارية اتبعت عبر تطبيق صك الانتداب ومواده التي سبق ذكرها، ومن أراد مزيداً من الأسباب فليطالع شهادات العرب أمام اللجنة الملكية عام 1936-1937، ولا يختلف حال نابلس وجبلها عن حال الوطن، وما يشاهد يومياً من تغيرات كانت تظهر أن فلسطين تسير نحو التهويد وبتسارع لا مثيل له.

وبدورنا سنجيب عن الأسئلة الآتية دون تفاصيل كثيرة.

كانت أهم الأسباب التي أدت لقيام الثورة العربية الفلسطينية الكبرى وبروزها في أوساط الفلاحين في جبل نابلس أو لواء نابلس هي:

أولاً: - سلب أراضي الفلاحين وحرمان العمال العرب من فرص العمل:

كان الفلاحون الذين عاشوا على إنتاج الأرض منذ آلاف السنين يواجهون خطر الاستعمار الاستيطاني التشريدي الصهيوني الأحتلالي، فالأراضي الأميرية العثمانية تصادر على يد السلطات البريطانية في فلسطين، والإقطاعيون من خارج فلسطين أخذوا يبيعون الأراضي للوكالة اليهودية كما أسلفنا. لقد شعر الفلاحون أن وجودهم على أرض فلسطين يهدده الخطر خاصة وأن عمليات الطرد أخذت تزيد يوماً بعد يوم، فمنذ طرد الفلاحين العرب من قرية المظلة على حدود لبنان عام 1886 ، وما تلاه من طرد فلاحي مرج ابن عامر في عشرينات القرن الماضي ، وعرب وادي الحوارث عام 1933. كتب أكرم زعيتير: " لقد تم طرد عرب الحارثية الذين حاولوا استعادة أراضيهم، فأطلق الحراس اليهود النار عليهم، وقتلوا أحدهم، وتم تهجيرهم غصباً، وتحت حراب البنادق ودون إرادتهم في سنة 1933" (1).

لقد عاين الفلاحون الفلسطينيون مخاطر عمليات شراء الأراضي التي يقوم بها اليهود، وما تتعرض له القرى العربية من تحطيم لإنتاجها بفعل المتغيرات التي أحدثها سكان المستعمرات، ولمسوا آثارها السريعة، وتحولاتها العمرانية، وزيادة اليهود على حساب أهلها، وزحفهم على أراضيهم وقضمها، وزيادة عدد مستعمراتهم في السهل الساحلي الفلسطيني، والجليل حتى بئر السبع، ومنها: ملبس، ورعانيا، وكفار سبابا (سبية)، وتل أبيب، والخزيرة، وكريات جات، ثم زيادة منشآتهم الاقتصادية ونموها على حساب العرب الفلسطينيين، وقد جعل اليهود هذه المستعمرات مراكز صناعية، وتجارية، وسياسية، واجتماعية. فقد استقبلت المستعمرات بعض إنتاج القرى العربية من زبل بلدي، وشيد، وبيض، وفحم، وألبان، وقد لعبت فئة محدودة من المجتمع الفلسطيني دور الوكيل والوسيط التجاري السمساري، وبفعل هذا الدور الاقتصادي قامت علاقات أخرى، مثل: بيع قطع أراض لليهود عام 1935، واحتكاك بعض العرب باليهوديات والزواج من المومسات، وأحياناً توجه الفلاحون القرييون من المستعمرات للتطبيب والعلاج في ملبس، وسبية، وكفار سبابا، وترافق هذا الدور أيضاً مع مجموعة إجراءات للحكومة حيال الإنتاج الزراعي وتسويقه، وإرهاق أبناء البلاد بالضرائب المفروضة عليهم، ومصادرة الحكومة

مساحة لا يستهان بها من الأراضي الفلسطينية؛ بحجة أنها أراضٍ أميرية، ومشاعية بعد مسحها في هذا العام، وأسهمت في تحطيم الإنتاج الزراعي، وتحويل الفئات الاقتصادية نحو الخضوع للمصالح الرأسمالية الاستعمارية والصهيونية (2).

وقد عبر د. جمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني عن وعيه لما يجري من متغيرات سريعة في البلاد، التي ظهرت آثارها في زيادة وتوسع المشهد العمراني للمستعمرات الصهيونية، الذي شاهده بعد مروره في مرج ابن عامر عام 1935، وقد شاهد جمال جملة الآثار والمتغيرات السلبية في أسواق الناصرة العربية وتردي حالتها، وبين أسباب معاناة أبناء المدينة العربية، التي تعود للدور الانجليزي واليهودي، ومن باعوا أراضي مدينة المسيح، ومنهم آل سرسق الذين باعوا السهول النضرة التي كانت وفيرة الانتاج وعندها خلت أسواق المدينة من الخيرات والمزارعين، ويبيدي أسفه على نتائج التحولات السلبية التي أسهمت في القضاء على الزراعة والتجارة بفعل العلاقات الرأسمالية والتي لم تشبع نهم هؤلاء السماسرة (3).

إن وعي مخاطر المشروع الصهيوني، وضرره على طبقة الفلاحين جعلهم في طليعة الكفاح الوطني والقومي مصممين على خوض معمعان الثورة المسلحة خاصة أولئك الذين كانوا على قرب من مستعمرات السهل الساحلي يرقبون التحولات ويعيشون آثارها السلبية، لهذا لا عجب إذا قلنا: إن الثورة أخذت طابعها الفلاحي، وإن قادة الفصائل كانت غالبيتهم من أبناء القرى باستثناء الثائر القائد عبدالقادر الحسيني (مدينة القدس) ابن طبقة الملاك الذي عد استثناء.

أما الباقون فهم من الفلاحين الذين لعبوا دوراً ميدانياً في الثورة أمثال: عبدالرحيم الحاج محمد " أبو كمال " من (قرية ذنابة - طولكرم) الذي امتلك أرضاً في وادي اسكندر باسم "دبة القرايا"، وعارف عبدالرازق من (قرية الطيبة - طولكرم) وله أرض غربي الطيبة، وجوار أرضه أقيمت كفار يعبتس الصهيونية، والشيخ حسن سلامة من (قرية قولة - اللد)، ويوسف سعيد أبو درة من (قرية السيلة الحارثية - جنين)، الذي لمس آثار بيع سرسق لمرج ابن عامر، وأضراره على أبناء قرى المرج، وكان فارس محمد أبو خديجة الحواري (العزوني) من (غابة عزون - طولكرم) يشاهد أيضاً توسع مستعمرة رعنايا على أراضي بلده (4).

إن فتح الاستعمار البريطاني البلاد على مصراعيها، والغزو الصهيوني قد ضاعف من موجات الهجرة، والاستيطان اليهودي في فلسطين الذي جعل الغضب الشعبي يتحول إلى وقود يزداد ضراماً، وتشتعل الثورة عام 1936، وبصورة جماهيرية شعبية، وعلى رأسها الفلاحون في شعار جديد (بريطانيا أصل البلاء والرزايا). لقد ظهر خطر الهجرة وزيادتها التي وصلت عام 1932 إلى عشرين ألفاً، وعام 1933 إلى ثلاثين ألفاً، وعام 1934 إلى 40 ألفاً، وعام 1935 إلى 60 ألفاً (5).

لقد كان عارف عبدالرازق، وقربيه سليم عبدالرحمن، والمحامي عوني عبدالهادي، ومن خلفهم المجتمع العربي الفلسطيني يتابعون قضية وادي الحوارث في المحاكم، ويسمعون ويقرؤون الصحف التي تناولت طردهم، وجر النساء من شعورهن وهي من القضايا المهمة التي ألهمت ونهبت للخطر الصهيوني الماحق والمحدث بتراب فلسطين الذي بات يوم طردهم من بلادهم وترحيلهم عنها جميعاً غير بعيد.

وقد ساعد عارف، وسليم المزارعين العرب في وادي الحوارث في الدفاع عن حقوقهم وقضيتهم العادلة في الأرض التي زرعوها عشرات السنين، والبيوت التي سكنوها، وأقاموا عليها، وهي من القضايا التي وصلت مجلس الملك الخاص (6).

إن إخراج عرب وادي الحوارث بالقوة دفع بوقعه الشديد على النفس الثائرة للشباب البدوي سليمان خليفة ، وهو ما دفعه للالتحاق بالثورة العربية الفلسطينية منذ بدايتها، وهو البدوي الحر الذي ظل أمام ناظره شاخصاً منظر النساء اللواتي رفضن الخروج من بيوتهن، وراح الإنجليز يجروهن من شعورهن بينما ضربوا الشباب والرجال بأعقاب البنادق؛ ليجبروهم على الرحيل وترك الوادي(7).

ولقد تأثرت مشاعر العرب وزادت كراهيتهم للاستعمار اليهودي والإنجليزي في فلسطين، بفعل التحولات الاجتماعية والتغيرات السلبية التي جاءت بها مجموعات اليهود المهاجرين إلى فلسطين والمقيمين في الكيبوتسات، والقرى الزراعية ، وما نشره من أخلاق فاسدة بين بعض الشباب العربي والذين رجعوا إلى قراهم، ومدنهم العربية يحملون أخلاقاً وقيماً منحلة سائرين في دروب الفساد، والخلاعة بعد أن باعوا قطعة أرض، أو تنازلوا عنها بإغراء من المومسات اليهوديات، وقمن بأخذ تنازل منهم مقابل تركهم يتمتعون قليلاً، وعادوا خالين الوفاض، ومدحورين لا يلوون على شيء(8).

ثانياً: الفلاحون يشكلون الأغلبية في المجتمع الفلسطيني:

إن غالبية سكان فلسطين في العهد البريطاني كانوا يقيمون في القرى التي زاد عددها عن 850 قرية، وهؤلاء يشكلون 70 % من مجمل سكان فلسطين (9) .

لقد صورت الأقسام الصهيونية جهاد الفلاحين العرب ونضالهم على أنه حالة غليان أوجدها ساسة غاشمون في البلاد من طبقة الأفندية(الفئة المتعلمة)،الذين استغلوا جهل الفلاحين وسذاجتهم، وقللت من شأن الدوافع الوطنية والقومية عندهم، وعدتها أحداث شغب، وفوضى، وتمرد، واضطرابات ، متناسية الآثار السلبية، والعميقة للهجرة الصهيونية في البلاد. خاصة بعد أن تركتها مفتوحة على مصراعيها، وقد غابت عن أبناء البلاد أية بارقة أمل بتحسين الأحوال والعيش بكرامة . فلا أمل يرتجى من وعود بريطانيا ولا تغيرت الأحوال الاقتصادية نحو الأفضل.

هكذا كانت ثورة 1936 نابعة من مشاعر وطنية قلقة على مصير البلاد، وليست بتحريض من فئة الأفندية كما درجت أعلام الصهيونية وأبواقها الدعائية،حتى إن أقلاماً إنجليزية نشرت في جريدة الديلي ميرور مقالاً بتوقيع المستر برود هارست الذي كان ضابطاً في بوليس فلسطين، ثم سكن تل أبيب : " إن الثورة العربية ليست حركة أشقياء مسلحين، بل إنها امتدت إلى أوساط أصحاب النفوذ من الأغنياء المسيحيين، وإن السلاح يدخل البلاد بكميات هائلة"(10).

وكتب أكرم زعيتر: " ليس أكذب ولا أنذل من أولئك المستعمرين الصهاينة الذين يزعمون أن حركتنا حركة أفندية مع أنها حركة شعبية عامة شاملة قامت على سواعد العمال والفلاحين أولاً ، وإن القرويين أبدوا في هذه الحركة حمية لا تجارى، وحماسة لا تبارى "(11).

إن القول بأن أحداث الثورة كانت مجرد أحداث شغب واضطرابات يدل على سخف، وتضليل، وطرح مناف للحقيقة، إذا علمنا أن غالبية فصائل الثوار تتألف من الفلاحين الذين تتصل حياتهم ووسائل عيشهم بالأرض(12).

لقد أدان غالبية الفلاحين بالولاء والطاعة لمفتي فلسطين. ففي الريف كانت شعبيته عظيمة، وقد نظروا إلى شخصيته كقائد ملهم، ومن سلالة شريفة، وعائلة يتصل نسبها بالدوحة المحمدية الشريفة، وهذا الإعجاب، دفعهم لصبغ شخصيته بهالة من الاحترام والتقدير وحتى القداسة أحياناً، وقد تجاوزت شخصيته حدود فلسطين، بل وعدت شخصية عربية، وحوله تبلورت طموحات أمة تحلم بالإنقاذ، وهو الذي تميز منذ صغره بالذكاء، وبشخصية جذابة، وساحرة وببراعة في القيادة، وحسن التصرف(13).

لقد تذبذب الحاج أمين الحسيني في خطه السياسي، وتم تغييره وتطويره بحسب الأجواء والمصالح والمؤثرات الشعبية . ففي الأعوام الممتدة ما بين 1920 - 1928 اتخذ موقفاً مهادناً وليناً من سلطات المحتل، حيث كان موظفاً في المجلس الإسلامي الأعلى وتحت إدارة إنجليزية للبلاد، ولكنه خطط لثورة البراق عام 1929، وعندما اشتدت الأمور وطالبه الإنجليز بوقف الأحداث تظاهر بأنه لا قدرة له على لجم المتظاهرين، وفي مظاهرات عام 1933 جرى الحركة الوطنية في رغبتها الانتفاض على الإنجليز، وبعد إعلان اللجنة القومية في نابلس ودعوتها الشعب العربي الفلسطيني للإضراب في نيسان 1936 اضطر لمدارة الشعب، وتوحيده خلف قيادته في اللجنة العربية العليا، وسار في شوط مخالف لمعارضيه في الثورة الثانية عام 1937، فقد شرد وطورد بسبب موقفه المتصلب خارج البلاد، في حين اختار معارضوه تأييد الإنجليز وتحولوا نحو الثورة المضادة. لقد اختلف موقفه عن معارضيه والتزم بالثورة المسلحة التزاماً كاملاً، وقد انطلق من إستراتيجية كونه زعيماً وطنياً(14).

وعند مقارنة الحاج أمين الحسيني برأس المعارضة الفلسطينية السيد راغب النشاشيبي فان الحسيني يظهر بمظهر القديس وزعيم الشعب مقابل راغب المعروف بكونه شخص مزاجي ومتقلب. وقد وصفته جريدة الجامعة العربية بـ "انتهازيته"، واتخاذ المبادئ الميكافيلية المشهورة التي تتلخص بوصفه بالأنانية المطلقة، وليس أدل على انتهازيته إعجابه بالأبيات التي علقها في صدر ديوانه:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون

وإذا طالت يداك فلا تقصر فإن الدهر عادية خؤون(15).

ولا تختلف شخصيات أخرى، ومنها: فخري النشاشيبي (القدس) الذي يكرس جل نشاطاته في الحزب لخدمة مصالحه الخاصة، ويمارس الوطنية المتطرفة في الثورة الأولى، وفي الثورة الثانية يخرج عن إجماع الأمة، ويشكل (فصائل السلام) خدمة للاحتلال البريطاني، ويحارب الثورة والثوار، ومثله فخري عبدالهادي (جنين)، وعادل الشوا من أخلص أصدقاء فخري النشاشيبي المنشق عن الأمة، وحسن صدقي الدجاني (القدس) الذي تتهمه مصادر إنجليزية بأنه ذو ميول بريطانية ومقرب من الأمير عبدالله أمير شرق الأردن وغيرهم (16).

لقد اصطبغت ثورة 1936-1939 بطابع فلاحى؛ أي إن نسبة كبيرة من المشاركين والفاعلين كانوا من أبناء القرى والريف. فقد أظهرت دراسة تاريخية أن من بين 282 قائداً تولوا مختلف المناصب العسكرية. كان بينهم 183 (65%) شخصاً من أصول فلاحية، و8 أشخاص (3%) من الفلاحين الذين استقروا في المدينة. و61 شخصاً (22%) من سكان المدن 22(8%) من البدو، والباقي من الدول العربية المجاورة (17).

وعند إحصاء الباحث لأسماء القادة ورؤساء الفصائل في فلسطين في ثورة 1936-1939 تحديداً وجد أن عددهم يزيد عن 600 قائد ورئيس فصيل. وعند فحص أسماء المجموعة التي أعلنت حكومة الاستعمار البريطاني بجائزة للقبض عليها والمكونة من (22) ثائراً ، ووجد أن (18) ثائراً وقائداً هم من أبناء القرى والباقي من مدن، صفد، وحيفا، وطبريا(18).

وعند استعراض أسماء رجال العصبة القسامية وأعمالهم التي أسسها الشيخ عز الدين القسام نرى أن القسام ركز على اختيار الكادحين، والفقراء من الفلاحين، والعمال، والمهمشين الذين وجدهم مستعدين لتقديم التضحية والفداء بما يفوق غيرهم، وإدراكاً منه لرجولتهم وشجاعتهم ضم إلى منظمته السرية رجالاً وصفوا في مجتمعهم بـ "الأشقياء" تارةً، أو اللصوص تارةً أخرى، وقد كان مؤمناً بإمكانية إصلاحهم منطلقاً من أن الإسلام يجب ما قبله، وهم الذين هداهم الله- تعالى- على يد شيخهم القسام، فكانوا من خيرة المجاهدين، وهذه أسماء بعضهم ممن أوردتهم سميح حمودة، وهم: الشيخ فرحان السعدي: من قرية نورس، ونمر السعدي: من قرية بسمة طبعون البدوية، و خليل محمد عيسى " أبو إبراهيم الكبير " من قرية المزرعة الشرقية قرب رام الله، و محمد الصالح حمد "أبو خالد: من قرية سيله الظهر، والقائد يوسف سعيد أبو درة: من سيله الحارثية، وعربي بدوي، من قرية قبلان، وهناك أسماء أخرى كثيرة نسبت نفسها للعصبة، وهي ذات أصول فلاحية (19).

ثالثاً: ملائمة الطبيعة التضاريسية للبلاد للثورة :

كانت المناطق الجبلية في فلسطين وعرة المسالك، ومنها: منطقة جبل نابلس ذات الموقع المتوسط، ويقع فيها عدة قرى وبلدات، ولا يوجد طرق معبدة، أو رابطة مسفلتة بينها ، وتتوفر فيها الأماكن العالية الملائمة للمرابطة والاختباء والحماية، وتحاط القرى بالصبار الذي يشبه السياج ، وعادة تسهل أشجار الزيتون والأشجار الحرجية: كالبطم، والبلوط تنقل الثوار، واختبأهم.

ولقد كان عدد الطرق المعبدة في المنطقة الجبلية من فلسطين قليلة ومحدودة؛ وبسبب ذلك أمكن للثوار التنقل بحرية وسرعة عبر البلدات والقرى الجبلية متنقلين في فضاء جبلي واسع، حيث نصبوا الكمائن على هذه الطرق، ثم انسحبوا إلى قرى وبلدات يصعب فيها حركة ناقلات الجند البريطاني؛ لهذا كانت القرى القريبة من الخطوط هدفاً لعمليات الثوار، ومعاركهم في حين كانت القرى البعيدة عن الخطوط الرئيسية ملاجئ آمنة للثوار.

لقد بدأت حكومة فلسطين الانتدابية تدرك هذه الحقيقة منذ عام 1930 بعد مطاردة قام بها جنود الإنجليز لعصابة الكف الأخضر بقيادة "أحمد طافش" في جبال الجليل الأعلى، ولم تكن في فلسطين يوماً غير طرق محدودة ومنها: الطريق الذي ربط مدينة القدس بحيفا، ويمر من نابلس، وجنين، وطريق يربط يافا بحيفا، ويمر من طولكرم وجنين، في حين كانت طريق نابلس - قلقيلية مفروشة بالحصى وغير مسفلتة حتى عام 1942، ومثلها طريق كفر قاسم - جماعين - نابلس .

لقد وفرت الجبال والأماكن الوعرة في جبل نابلس، ومنها: محمية "وادي قانا الطبيعية". الملاذ الآمن بفضل سهولة الاختباء والاحتماء فيها، فالثوار يهاجمون، ويكفون على دوريات الجند عند رأس عامر بين الطيبة، وقلقيلية، أو ينسفون القطار، ويفجرون عرباته الكاشفة "ترلي" ويقتلون القضبان الحديدية، في منطقة السهل الساحلي، ويفرون وينسحبون إلى المرتفعات الجبلية تاركين وراءهم قتلى الإنجليز قام الثوار عدة مرات بمراقبة دوريات العدو الإنجليزي ودباباته بين التلال والجبال والأودية الوعرة المكسوة بالأشجار الحرجية، وقد سهلت ليات الطرق ومفارقها، والصخور العالية عمليات التنقل والاشتباك مع العدو دون أن تكشفهم الطائرات البريطانية التي حلقت في الجو لاستطلاع تجمعاتهم وضربها. ففي معركة "الوادات" التي جرت قرب عزون شهد لنا عدة رواة أن القائد فارس العزوني "أبو معروف" اختبأ تحت شجرة بلوط وارفة

الظلال، بينما كان ضباط الإنجليز وجنودهم يبحثون عنه دون أن يروه، وهو يرقبهم حتى تغرب الشمس، ومن ثم ينسحب إلى مكان أكثر أمناً(20).

إن هذا يفسر اختيار القائد فوزي القواقجي قرية ياصيد، وجبل حريش مركزاً لقواته، حيث يشرف الجبل على منطقة واسعة بين نابلس، وجنين، وطولكرم. كذلك اتخذ القائد عبدالرحيم الحاج محمد أيضاً قرية رامين المشرفة على منطقة وادي الشعير، و"وطاة جمعة" من أراضي بلعا مكانين لمراقبة دوريات العدو الإنجليزي وحركاته، وعلى طريق نابلس_ طولكرم، ثم اعتاد الذهاب إلى قرية سفارين العالية ليحتمي فيها، كما إن عارف عبدالرازق اتخذ كفر ثلث وقرارة بني حسان، ودير استيا، ووادي قانا أماكن للاجتماعات، والتخطيط لتنفيذ المهمات (21).

قد برز دور الثورة في جميع مناطق فلسطين وعلى وجه الخصوص في المناطق الجبلية من فلسطين، ومن بينها تجلت فاعلية العمليات والمعارك في منطقة جبل نابلس خاصة في المنطقة الممتدة بين نابلس، وجنين، وطولكرم، التي سماها الانجليز واليهود منطقة "مثلث الرعب"، وهي منطقة جيدة لحرب العصابات .

وقد حفل سفر النضال الفلسطيني بسلسلة معارك، ومنها: معركة بيت أمرين، وكفر صور و ياصيد، وبلعا، و جبج، و صانور، والخضر، وبني نعيم، وطيبة حيفا، ووادي عزون، ودير غسانة، وقد أجهز الثوار على ضباط وجنود في هذه المعارك البطولية . ففي موقع عيون الحرامية " على بعد 18 كم شمالي رام الله نصب الثوار حاجزاً من الحجارة بقيادة الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي وما إن نزلوا لإزاحة الحجارة حتى أسقط رصاص الثوار عدداً منهم، ومع أن المعارك الكبيرة حصلت في المناطق الريفية والجبلية إلا أن الثوار قاموا بأعمال فدائية داخل المدن، مثل قتل ضباط، أو اغتيال شخصيات في القدس، وحيفا، ويافا، ونابلس، وفي مناطق السهل الساحلي والنقب جرت أيضاً أعمال ثورية مختلفة كزرع الألغام والمتفجرات، أو الاشتباك والتخريب، ثم الانسحاب إلى الجبال.

رابعاً: أثر اختلاف العادات والتقاليد بين عرب فلسطين والصهاينة:

إن المجتمع العربي المعروف بعاداته التي ورثها عن أجداده وتقاليدته التي يعتز بها كالمحافظة على العرض والشرف، وذات طابع مميز من النسيج الاجتماعي التقليدي، وجد أن أخلاقه، وتقاليدته تتعارض مع أخلاق اليهود الغربية عن مجتمعا العربي، سواء في شكل اللحى، والسوالف، وتناول الطعام، والعلاقة مع الفتيات شبه العاريات، والسير معهن في الأسواق، والسباحة المختلطة في أنشطة المنظمات الطلابية، بعكس النساء العربيات المتحجبات والمحافظات على شرفهن وأخلاقهن، وقد هاجم الشيوخ في خطبة الجمعة الشباب العربي ممن يلبسون الملابس الإفرنجية، والشابات المسلمات المتبرجات، وطالبت صحف عربية بمنع الاستحمام في البحر الذي يضم كلا الجنسين أيام السبت، و عدت هذا السلوك إفساداً لأخلاق الشباب العربي (22).

كل ذلك جعل الثقافتين العربية الشرقية، واليهودية الأوروبية منها في تصادم إلى جانب ما يحفل به القرآن من تحذير من غدر اليهود وخيانتهم، وتأصله فيهم، والصراع الضارب في أعماق التاريخ بين المسلمين، والمسيحيين من جهة، و اليهود من جهة أخرى؛ فهم سبب الغدر بعيسى المسيح -عليه السلام- الذي وقف في وجه الصليافية، والمرابين من أحبار اليهود في العهد الروماني حيث مارسوا السُّحت مع الناس.

اندفع شيوخ المسلمين وأنتمهم الخطب الحماسية والقائد الشعريّة المحرّضة على الاستعمار والصهيونية وفي سياق هذا الدور الذي احتله المشايخ برز دور عدد منهم أمثال: الشيخ عبدالقادر المظفر في انتفاضات عام 1920 و عام 1933، والشيخ عز الدين القسام عام 1935 كما أسلفنا. ولقد كانت العاطفة الدينية والعقيدة الجهادية بارزة عند غالبية قادة الثورة ورؤسائها الذين كان شعارهم في معاركهم مع الإنجليز (إما نصر، أو استشهاد) متأثرين بموقف شيخهم القسام في أحراج يعبد.

وتنعكس الأناشيد الثورية على لسان الشيوخ في المساجد والكتاتيب، ففي أعوام 1936-1939، كان الشيخ أحمد القاضي من قرية دير إسنيّا - طولكرم ينشد لطلابه في مدرسة كتاب كفر ثلث، النشيد الآتي:-

وقف الهجرة طلبنا	حفظ الأرض مأربنا
حكومة منا عزمنا	ومن مبدأنا لنعود
عزمنا عزم شديد	للمعالي كالحديد
المستعمر العنيد	نخذله مع اليهود
قابلونا بفضاعة	بطيارة و دراعة
أين العصابة والعصابة	وتلك النفوس الوثابة
اسمع لهذه الخطابة	تحيي جيش وتقول
الطيارة والدبابة	موش أقوى من العصابة
أين عصابة الأمم	المبنية على الوهم
الإنجليز فيها الحكم	والحق فيها مفقود(23).

كان الصراع ولا زال عميق الصلة في علاقته بين الشرق العربي، والغرب الأوروبي لدرجة أن المسيحي العربي الشرقي صاحب المذهب الرومي الأرثوذكسي يرى تناقضاً مع الغربي البروتستانتي المتصهين، ولا يرى في أخيه العربي المسلم أي تناقض باعتبارهم جميعاً أبناء وطن وقومية وأمة عربية واحدة، وقد تجلّى هذا الموقف عند الأستاذ أكرم زعيتر أحد قادة حزب الاستقلال القومي العربي أثناء زيارة الوفد العراقي إلى نابلس يوم 1936/3/12، والذي عبر فيه عن ترحيبه بأخوته من الوفد العراقي الذين زاروا البلاد مبرهنين على أهمية الرابطة القومية العربية، وتخذلهم مع الفلسطينيين في خندق النضال القومي العربي المشترك، ودفاعهم معهم أمام الوجود الصهيوني الذي يهدد وجودهم، ووحدتهم، بما يشكله من خطورة اقتصادية وسياسية وعسكرية (24).

خامسا : تأثير الثورتين السورية والمصرية في فلسطين:

لقد تأثرت أحوال البلاد بمجريات الثورات العربية، وحصولها على استقلال نسبي في كل من سوريا، ومصر، والعراق بفعل المعاهدات المعقودة معها، فقد أذكت ثورة الشعب السوري وإضرابه لمدة شهر، ونجاحهم فيه مبادرة الفلسطينيين إلى الإضراب الشامل والطويل معبرين عن تضامنهم مع المنكوبين في القطرين الشقيقين سوريا وفلسطين.

ويتجلى الارتباط القومي في المؤتمر الشعبي الكبير المنعقد في نابلس يوم 26 كانون ثاني/ يناير 1936، وكان ممثلاً للجمعيات والأطياف الحزبية، وبرز فيه دور رجال حزب الاستقلال القومي العربي، وعلى رأسهم أكرم زعيتر، وكان المؤتمر فرصة للالتقاء، والتواصل بين الوطنيين، والقوميين في فلسطين، وبلاد الشام، وخرج أعضاء الوفود إلى الشوارع، وهم ينشدون الأناشيد القومية منادين بسقوط الاستعمارين الفرنسي، والبريطاني، واتفقوا على جمع التبرعات إلى منكوبي سوريا والإبراق لعصبة الأمم محتجين على حوادثها الدامية معلنين تضامنهم مع الكتلة الوطنية، وعصبة العمل القومي، ومظهريين سخطهم على التجزئة التي صنعها الاستعمار، وطافوا في تظاهرة ليلية طافت شوارع نابلس معلنين تضامنهم مع الشعب العربي السوري محتجين على موقف دول العصبة من قضيتهم(25).

سادسا: دور الأقلية الموجهة* في التحريض والتعبئة ومساندة الثوار:

نشأت في جبل نابلس طبقة من الملاكين الكبار، والتجار، وأصحاب الصنائع الذين احتلوا موقعاً مهماً في البلاد، وقد تميزت قرى جبل نابلس بعلاقة شبه تكاملية بينها وبين مدينة نابلس في دورها التسويقي والتجاري، أو استقلاليتها النسبية منذ أوائل العهد العثماني. وقد أمكن لأبناء هذه الطبقة التي عاشت في نابلس تلقي العلوم في إسطنبول، ولندن، وباريس، وبيروت، والقاهرة؛ لهذا كانت لهم القيادة السياسية والحزبية والتعبوية المؤثرة في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، وأسهمت الأقاليم والصحف في التحريض و تبني مواقف الثورة واستعار لهيبتها.وقد بدأت أعمالها في الصحافة والأندية الثقافية، ثم حشد القوة المادية والمعنوية، وعمقوا الفهم الوطني ونشروا الوعي كل في موقعه، وشكلوا مجموعات تنتظر ساعة الصفر؛ لتشارك في مسيرة الجهاد، وهي مؤمنة بأهمية حمل البندقية والسير بالنضال نحو أرقى أشكاله وهو الكفاح المسلح.

لقد تبرع رجال المدينة والقرى الأغنياء ببعض أموالهم لقيادة الثورة، وثار الميدان، ومدوا يدهم ليساعدوهم على شراء السلاح والملابس . وأسهمت الصحافة الفلسطينية في نشر الوعي بمخاطر الصهيونية الحاضرة والمستقبلية، وتابعت أخبار الثورة المسلحة وتقجيراتا ومعاركها بالتفصيل، وظهرت مجموعة رجال في فلسطين ممن امتهنوا الصحافة التي فضحت سياسة الإنجليز، واستفزتهم بمواقفها فأغلقوها عدة مرات، ، ومنها: فلسطين، والدفاع، والكرمل، والجامعة الإسلامية، وحظرت السلطات دخول صحيفة الشورى الفلسطينية الصادرة في مصر التي حررها محمد علي الطاهر من نابلس.

كان من نتائج مؤتمرات الشباب الفلسطيني ودعوتها إلى تبني أشكال جديدة من النضال، وعلى رأسها الكفاح المسلح، إلى بلورة مجموعات عديدة في مدن نابلس، وطولكرم، وقلقيلية، ويافا، والقدس مؤمنة بنهج الكفاح المسلح، منتظرة اليوم الذي تتفجر فيه الثورة المسلحة.

لعب أيضاً رجال العصابات بخروجهم وتحديهم لسلطة المحتل بين عامي 1920- 1935 دوراً مهماً في تشجيع روح التحدي عند الشباب العربي، وإن كانت أسباب خروجهم جنائية، واشتهر منهم: أبو سليقة (عقربا)، وأبو كباري (بيتا)، وأبو جلدة(طمون).

ومع أن بريطانيا عرفت برعايتها للمشروع القومي الصهيوني إلا أن تقريرها الذي صدر عام 1937 باسم "تقرير لجنة بيل الملكية" يميل في تحليله لأسباب الثورة في فلسطين للموضوعية والإنصاف، فقد عزى الأسباب إلى رغبة العرب لنيل استقلالهم وكرههم للمشروع الصهيوني في إنشاء وطن قومي وتخوفهم منه، وانتشار الروح القومية العربية خارج فلسطين، وازدياد الهجرة منذ عام 1933 وشعور العرب بسيطرة اليهود، وتأثيرهم على الرأي العام البريطاني، والحكومة الإنجليزية المنتدبة في فلسطين متحيزة لليهود مع استمرارهم في شراء الأراضي، وعدم إمكانية اللقاء أو التمازج بين الثقافتين اليهودية والعربية، وفشل الحديث عن رفاهية الفلسطينيين بعد دخول رؤوس الأموال اليهودية إلى فلسطين. كما أن المعاهدات المعقودة بين بريطانيا، ومصر، وفرنسا، وسوريا لها دور في إذكاء الروح القومية العربية (26).

وهكذا اجتمعت عوامل كثيرة بعضها داخلي وأخرى خارجي نحو تبني شكل جديد من النضال الوطني والقومي غير الذي تعودت عليه الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد كان صراعاً دامياً بين العرب واليهود، واتخذ طابعاً قومياً، وشمولياً، وتناحرياً، وقد أسهمت فيه مختلف الطبقات الشعبية هذه المرة، وجاءت ثورته معنونة عند الكثيرين باسم "الثورة العربية الفلسطينية الكبرى 1936-1939".

وكانت الجماهير الشعبية مؤمنة أن قوة الحق لا تنتصر بالاستجداء والترجي، أو التعاون مع حكومة الانتداب، بل بقوة الإرادة في الجهاد والفداء والتضحية. وليس ثمة شك أن الطبقات الفقيرة من الفلاحين، والعمال، والمتقنين كانوا أكثر استعداداً لحمل البندقية، وخوض المعارك في جبال فلسطين، أما باقي الطبقات، فقد أدركت المخاطر التي أصابها من هذا الاحتلال، وتولدت لديها جميعاً القناعة بأن السيف أقوى من القلم. ورأى الفلاحون في ثورتهم على عدوهم وأعمالهم البطولية ما يعزز هيبتهم ووجودهم، وقد مارسوا سلطتهم بعد أن ظهر فيهم عدد كبير من القادة والرؤساء، وقد رفعت تضحياتهم وبطولاتهم منزلتهم.

إن ثورة عام 1936 هي انتفاضة شعب غضب لكرامته، قصتها قصة البطولة التي لا تُوزن، ولا تُحسب، وجمالها هو جمال التضحية النقية الصافية. فقد أقدم عليها الصبي والصبية، والرجل والمرأة، متجاهلين جميعاً كل الفوارق الطائفية، والطبقية الاجتماعية، ولم يعرفوا إلا عروبة فلسطين، ولم يهتفوا إلا بحرية العرب ووحدتهم واستقلالهم. ثمانية عشر عاماً والعرب يعانون أفعال السلطات البريطانية التي صممت على تهويد فلسطين، فهاجت خلالها خواطرهم وهم يرون أن حكومة الانتداب قد بخلت عليهم حتى بمجلس تشريعي عقيم، ومن حولهم شجعت حركات الاستقلال العربي في مصر، والعراق، والشام، فزادت نفوسهم تطلعاً إلى تغيير الأسلوب بعد تعذر إقناع حكومة الانتداب بالعدالة والحق العربيين (27).

(1) (زعيتر، أكرم: الحركة الوطنية الفلسطينية، يوميات زعيتر، ص6). (2) (عرار، عبدالعزيز، خريش ط1، ص60)

(3) (مجموعة وثائق حول تاريخ فلسطين، ص72). (4) (مقابلات مع فيصل عارف عبدالرازق، وكمال عبدالرحيم الحاج محمد 1986، وسلامة رضوان 1993) (5) (دروزة، عزة، حول الحركة العربية الحديثة، ص115).

(6) (عبدالرازق، فيصل، أمجاد ثورية، ص14). (7) (رواية كمال عبدالرحيم مقابلة جرت 1986).

(8) (عرار، عبدالعزيز، خريش المهجرة والمدمرة، المرجع السابق، ص61) (9) (ياسين الحافظ: الهزيمة والأيديولوجية المهزومة، ص19). (10) (أنظر: جريدة فلسطين في 15 حزيران 1936)

(11) (زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية، يوميات زعيتر، ص84). (12) (عبدالرازق، فيصل: أمجاد ثورية فلسطينية: ص21). (13) (انظر علي عطية، الحزب العربي الفلسطيني: ص154 و ص157). (14) (المرجع السابق: ص296-297).

(15) (مجموعة وثائق حول فلسطين، ص364) (16) (عطية، سعود علي، الحزب العربي: ص148-150 يتصرف).

(17) يوسف رجب: ثورة 1936 في فلسطين دراسة عسكرية، ص45 - ص46 (18) عودة، زياد: من رواد النضال في فلسطين الكتاب الثاني، ص16. (19) (سميح حمودة : عز الدين القسام ، ص ص101-115). (20) (رواية سمعتها من عدد من الرواة ومنهم: الحاج محمد عواد من عزون عام 1995). (21) (من مقابلات أجريتها مع الرواة ومشاهدات الباحث).

(22) (البليغ،تسفي،الثورة العربية الفلسطينية،1936-1939،ص26 و27).

(23) (رواية محمود أسعد خطيب1985). (24) (زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص51).

(25) (المرجع السابق، ص4

3 و44). (26) (الحركة الوطنية الفلسطينية، يوميات زعيتر، ص296).

(27) (د.جلال حسني سلامة أوراق خاصة) (28) (الكيالي، عبد الوهاب: موجز تاريخ فلسطين الحديث، ص262)

عندما يتحول الحصار الى سلاح دمار شامل العراق انموذج الفترة من عام 1990 للعام 1994

أ. علي المرعبي

المقدمة

ان الحصار الجائر الذي نتج عن قرار الأمم المتحدة رقم 661 الذي صدر في يوم 6 أغسطس 1990 و الذي نص على اقرار عقوبات اقتصادية خانقة على العراق . و التي عانى العراقيون الأمرين منها حيث حرمتهم من الغذاء والدواء ، فضلاً عن كل وسائل التقدم والتكنولوجيا التي وصل إليها العالم في حقبة التسعينات من القرن الماضي حيث كان الحصار شاملاً طال جميع مرافق العيش و الحياة ،مما أدى إلى وفاة مليون و نصف المليون طفل نتيجة الجوع و نقص الدواء الحاد و افتقادها لأبسط وسائل الحياة.

كان لفرض الحصار على العراق نتائج وخيمة، إذا تسبب في تدمير اقتصاد البلد و تراجع المستوى الصحي و التعليمي و تسبب في كارثة إنسانية يندى لها الجبين .

ان الحصار كان ولم يزل من اعظم صور الارهاب و الجريمة و الابداء للابرياء على يد دعاة الحرية و السلام و منشدي حقوق الانسان .

نترك بين ايديكم هذا التوثيق الاحصائي من ارشيف مركز ذرا للدراسات و الابحاث ، و فيه احصاء لعدد الضحايا و الاضرار الناجمة عن هذه الجريمة في الفترة الزمنية المحصورة بين عام 1990 و عام 1994، أنموذجاً عن الدمار الشامل الذي قام به من ادعى كذباً و باطلاً بأن العراق يملك اسلحه الدمار الشامل ليتم اجتياحه و احتلاله لاحقاً لنهب نفطه و ثرواته الكبيرة. و ان كانت جريمة الحصار المفروض على العراق و اعداد الضحايا و الدمار هائل فأن ما تلاه من جريمة الحرب و الاحتلال و الانتهاكات و الابداء و التدمير اعظم و أهول سينكره التاريخ كوصمة عار في جبين فاعليه و مقره المجرمين .

الصحة

كان للحصار الجائر على العراق اثاراً مدمرة و كارثية في الوضع الصحي و الدوائي . و تشير الاحصائيات انه ادى الى وفات الالاف من العراقيين الابرياء . و للتدليل على ذلك نشير بأن المعدل الشهري لوفيات الاطفال دون سن الخامسة من العمر ارتفع من 593 وفاة لعام 1989 الى ما يزيد 6038 حالة وفاة في مطلع عام 1995 . اي ان وتيرة الوفيات لهذه الفئة العمريه و كحصيلة سنوية لعام 1989 كانت 7110 حالة وفاة و بسبب الحصار اللانساني فقد ارتفع العدد في عام 1994 الى 52905 وفاة. اي تضاعف العدد الى ما يقارب 8 مرات في العام الخامس من الحصار.

اما للفئة التي تزيد عن الخامسة من العمر فقد سجلت عام 1989 ما يعادل 20224 وفاة لتصل بسبب الحصار الى 80773 لعام 1994 . اي تضاعف النسبة 4 مرات .

و اذا ما حسبنا هاتين الفئتين من العمر لعام 1989 يكون مجموعهما 27334 وفاة . اي انه كان سيؤدي ، لو كانت الامور

طبيعيه الى وفاة 164004 طفل للاعوام الممتده من سنة 1989 حتى سنه 1994 ، بينما ادى هذا بسبب الحصار الى وقوع 600463 وفاة بما فيهما كانون الثاني 1995 حتى حزيران من نفس العام . اي ان الحصار كان مسؤول عن مقتل 436459 طفل عراقي خلال تلك الفترة من غير تعداد وفايات النساء و الرجال و المسنين

(انظر جدول رقم 1،2،3) .

جدول رقم 1

عدد الضحايا	التاريخ
593	1989
742	1990
2289	1991
3911	1992
4147	1993
4409	1994
6038	كانون الثاني 1995
4123	شباط 1995
4147	آذار 1995
3199	نيسان 1995
4042	آيار 1995
4343	حزيران 1995

جدول رقم 2

عدد الضحايا	التاريخ
1685	1989
2497	1990
4872	1991
6377	1992
6522	1993
6731	1994

6638	كانون الثاني 1995
7151	شباط 1995
8058	آذار 1995
7462	نيسان 1995
7924	أيار 1995
6435	حزيران 1995

جدول رقم 3

المجموع	معدل الأعمار		التاريخ
	أكثر من 5 سنوات	أقل من 5 سنوات	
27334	20224	7710	1989
19737	10834	8903	تموز 1990
12727	12727	-	آب 1990
85924	58469	27473	1991
123463	76530	46933	1992
128023	78261	49762	1993
133681	80775	52905	1994
69560	43668	25892	حزيران 1995
600467	381489	218978	المجموع

ان اثار الحصار الظالم على الحالة الغذائية للاطفال دون الخامسة من العمر كانت مؤلمة جداً و مدمرة . و يكفي للدلالة على ذلك حالات نقص التغذية التي ارتفعت من 485 حالة لعام 1990 الى 20975 حالة لعام 1994 . و سجلت 12746 حالة في كانون الثاني من عام 1995 اي في شهر واحد ارتفعت النسبة الى ما يقارب نصف ما كانت عليه خلال عام 1994 بأكمله ، و هذا يعني ان الرقم تضاعف من عام 1990 الى حوالي 44 ضعف بحلول عام 1994 .

اما نقص الفيتامين فقد تضاعف هو الاخر الى معدلات حادة و للدلالة على ذلك يكفي القول انه سجلت عام 1990 ما يقارب 60919 حالة نقص فيتامينات لترتفع فقط لشهر كانون الثاني 1995 لرقم فلكي يساوي 833489 حالة اي تضاعفت اكثر من 161 ضعف عن معدلاتها .

و اذا ما انتقلنا من حالات الاطفال العراقيين الى اوضاع الشعب بجميع فئاته بما فيها الاطفال ، و اخذنا عينات تدل على جرائم

القتل الصامتة التي ارتكبت بحق شعبنا الصابر لأصعبنا بذهول كبير .
الكوليرا من "صفر حاله" عام 1989 الى 1345 حالة عام 1994 ، التيفوئيد من 1812 حالة لعام 1989 الى 24436 حالة عام 1994 ، و ان داء المقوسات ارتفع من 372 حاله عام 1989 الى 3899 حالة عام 1994 . و بالاجمال فأن النسب ارتفعت كثيراً و تراوحت ما بين 02،1% الى 1343% .

اما حالات نقص الغذاء للامهات الحوامل فقد اثر تأثيراً كبيراً على الاجنة التي يحملنها في احشائهن ، اذن ، فأن الحصار على العراق لم يطل الاحياء فحسب بل طال ايضاً الذين لم يبصروا النور .
و من المعروف ان الولادات لاطفال تقل اوزانهم عن 5،2 كغم تؤدي لاحقاً الى مضاعفات صحية و ربما قصور في نواحي اخرى . لقد كانت نسبة الولادات في عام 1990 ذات وزن اقل من 5،2 كغم حوالي 5،4% من مجموع الولادات و ارتفعت هذه النسبة الى 1،21 من الحالات انظر إلى الجدول لعام 1995

عدد الضحايا	كانون الثاني	
8،01	2124	12746
45،5	19710	118262
2،17	138915	833489
18،8	160749	964497

هذه هي عدالة ادارات الولايات المتحدة الامريكيه و حلفائها الذين ينادون بالعدالة و الحضارة و احترام حقوق الانسان و يتغنون بالسلام ! و هم مارسوا ابشع انواع الارهاب و الجرائم و الابداه الجماعيه بحق العراق و شعبه و ما زالوا كذلك ، لتتمكن سياستهم الامبرياليه المستعمره تحقيق اطماعها في نهب نفط العراق و ثرواته على وجه الخصوص حتى لو كان ثمن ذلك هو دماء الابرياء و انتهاك حقوق الشعوب المعتدى عليها بحجج كاذبه لا تلبث الا ان تتضح لتفضح وحشيتهم و اجرامهم .

لم يترك الحصار جانباً من جوانب الحياة الا و وطنتها و طائته و خاصه الجوانب الصحية و الحياتية . فعلى صعيد العمليات الجراحية الكبرى فقد سجلت تراجعاً مريعاً حينها نتيجة نقص المخدر و قطع غيار و صيانة الادوات الطبية و غرف العمليات . في وقت ازديادها بسبب الامراض و المعانات الصحية الناجمة عن الحصار الكافر و ما كابده المواطن العراقي من ظلم و قهر جرائه .

ففي عام 1989 كان المعدل الشهري 15125 عملية جراحية . اي بمجموع يقارب 181500 عملية على مدار العام الواحد ، و قد هبط العدد في عام 1994 الى 4678 عملية جراحية شهريا اي بمعدل 56148 عملية للعام الاخير . اي ان النقص السنوي يقارب 125352 عملية جراحية . و بحصارهم الجائر هذا قتلوا المرضى قبل ان تصل لهم و تتقدم ايدي الطب .

كما ادى الى التأثير على مجال الفحوصات المختبريه التي تعتبر المدخل الرئيسي لتحديد الامراض و سبل العلاج و العمليات الجراحية و اوضاع الاجنه و غير ذلك . فقد اثر الحصار على جميع انواع الفحوصات ، حيث انخفض فحص الدم

2213330 فحص لعام 1990 الى 54708 فحص مختبري في عام 1995 . و كذلك الحال للتحليلات البكتريولوجية انخفضت من 1008264 اختبار الى 19524 اختبار ما بين عام 1990 و عام 1994 . كما ان التحليلات المختبرية انخفضت بنسبة 70% فيمطالعام 1995 و هذا بحد ذاتها كارثة لا تغتفر .

التعليم

ان الاضرار التي طالت الجانب التعليمي التربوي نتيجة العدو الامريكى على المدارس، فهي

ملاحظات	الكلفة التقديرية	عدد الاصابات	الجهة المتضررة	الرقم
25000 للمدرسة	6 مليون و نصف	260 مدرسة	تصليح الابنية	1
25000 للبناء	مليون و نصف	6 ابنية	ابنية المديرية	2
	880 ألف دينار	55 ألف	اثاث المدارس	3
	60 الف دينار	11 سيارة	سيارات	4
	2 مليون دينار	160 مختبر	المختبرات	5
	800 ألف دينار	160 قطعة	وسائل ايضاح	6
	500 ألف دينار	50 مدرسة	كتب المدارس	7

	2500 دينار	1	أجهزة طباعة	8
	650 ألف دينار		اثاث للمكاتب	9
	104 ألف دينار	260 مدرسة	تجهيزات رياضة	10
	16 ألف دينار		مخازن كتب	11
	250 ألف دينار	5000 مروحة	مراوح	12
	120 ألف دينار	1000	أجهزة تدفئة	13
			المجموع	

13 مليون و 322 ألف و 500 دينار

قيمة الدينار حينها 3.25 دولار

43 مليون و 298 ألف و 125 دولار

اما الاضرار التي اصابته الاثار و التراث في سنوات العدوان الثلاثيني العاشم و ما تبعد من حصار جائر فهي :

أ_ المتاحف المتضررة و التي تحتاج الى التعمير

- 1- المتحف العراقي
- 2-متحف البصرة
- 3-متحف ميسان
- 4-متحف القادسيه
- 5-متحف الناصريه
- 6-متحف الكوفه
- 7-متحف التأميم في كركوك
- 8-متحف التراث في كركوك
- 9-متحف الموصل الحضاري
- 10-متحف دهوك
- 11-متحف اربيل
- 12-متحف السليمانيه

التكلفه اللازمه لإعادة التعمير حينها هي 2.5 مليون دولار امريكي.

الاثار و المكتبات المسروقة

تم العبث و سرقة العديد من قطع الاثار و الكتب و المخطوطات من مواقع عدة لا يمكن حصرها بالكامل نذكر منها :
أثار موقع اور

أثار متحف دهوك (كامل المجموعة المعروضه)

مخطوطات مخزونه في متحف كركوك

مكتبة متحف البصرة

مكتبة متحف ميسان في العمارة

مكتبة متحف كركوك

مكتبة متحف الكوفة

مكتبة متحف اربيل

مكتبة يعقوب سرقيس المحفوظه في متحف كركوك .

المباني الاثرية المتضررة من جراء القصف المباشر و المجاور

المدرسة المستنصرية

القصر العباسي

جامع القبلايه

خان مرجان

جامع الكواز في البصرة

زقورة اور الاثرية

القصر الشمالي العربي في نمرود

كنيسة الطاهرة في الموصل .

المناطق و الاحياء التراثيه المتضررة جراء القصف المباشر

محلة الميدان في الموصل

البصرة القديمه في العشار

محلة الكريمات في جانب الكرخ من بغداد

محلة النهضة في جانب الرصافة من بغداد

محلة السفينة في الاعظميه

الدور التراثية في كركوك

قشلة كركوك

قشلة بغداد

جسر الشهداء

السوق التراثي في العمارة .

و فقد العراق حوالي 4000 قطعه اثريه فنية نادرة هربت الى خارج العراق خلال فترة العدوان .
كما تعرضت 384 مخطوطه عراقية هامة الى السرقة ايضاً .

وللبحر طفلة سورية

جسد ابداعي

محمد سليمان الفكي الشاذلي

شربنا الدمع بالليمون يا وطني، حكينا قصة الحسرة. طعمنا لهفة الليل. ورحنا نفرش المشوار للدرب. سمعنا زفة الماضي.
لصوت الطبل أسطورة! لعرس الفقد زغرودة. شربنا غصة الفرقة. حرقنا مركب الحاضر. جعلنا البحر من خلفواً أمامنا
الذكرى.

بلا مهمازٍ نطلق الخيل

فقد تأتيتك بالصبح.

واعلم أنا ترجلنا.

بين القذف واللهب

صرنا كرمًا بلا عنب

نثرًا قد غادر الشعراء ضفته.

على شفيتك أغنيئوا الأجران في دعة كطي الورد تلتئم. وحدي! في وكري المهجور أرتعد، أصغي لصوت الليل في الباب. ومن
قربي أجمع النجمات تذكراً، اخطُ بدمعي المسفوحاً جزانك. طوال الوقت أحببتك. وقد أحببتني مرة. نعم سميتني بنتك.

لكن من سماك يا وطني؟

من أهداني فقدانك؟

سحابة صيفٍ ظلها عابر؟

من جنازك ها قد جاءني صوتك: صفيراً يملأ السهب، يملأ الضيعة، ضيعة التي كانت فيك يا وطني. والحمامات الأخيرات
ها قد صفقت ريشها جرحاً؛ ولت صوب غاراتك. صباحك كله دم. كل الرعاة توسدوا سهواً حطبات نيرانك. والزراع في
الحقل قد حصدوا الآن توقد كل جمراتك. وهذي الشمس قد حنت لألسنة دخانك الأبدى يا وطني ...

قمرٌ على كتفك

وحقل الليل من شعري

ينادي الطير من صدرك

أحبك: قلت يا وطني!

مترعةً من ظمأ القرونِ شفاهك المسودةُ الشقِ! شفاهك المحروقةُ يا وطني! عميأً من لهب البراميل عيناك. وأنا تعبى وراحة
مثل فراشةٍ مست جمرها عمداً في عشياتك. أمسك وجهك المرسومَ من ذر غبارك الأبدى، أمسك بشعرك المحروق من لفح
غارتك.

ومن كبك المقروح تأتين أحاديثُ من ماتوا من قبل أن يصلوا.

من بين بكائك المأهولِ أسمعها مقاماتك.

قبل الوداع شهقت يا وطني! عيناك عصفوران قد شردا، عصفوران ما شربا من دَنِّ صباحك الدامع، عصفوران قد فقدا ظلَّ
جناحك اللامع. قبل الوداع سعلت مراتٍ! مثل عجوز لم يكسو صدرها سرك. قبل الوداع نهضتِيا وطني من بين لهيب برميك،
مشيت لكن عرجاء مشيتك. وأسرعت حتى إذا بلغت خطاويك نصف نهارك الأحمر، نهارك الراعف توقفت، هتفت برنة
المزمار: نعم أهواك يا بنتي. أحبك.

ثم سكت.

ثم أدرتِوجهك الممحو للمأساة.

جاءتني أغانيك يا وطني. كنتُ أداعبُ النبعَ الذي نامَ في صدري لأنساك.

جاءتني أغانيك يا وطني. كان الحصى قلقاً وكنْتُ أعابثُ النجمَ لأنساك

جاءتني أغانيك بدنَّ الشبر بالماضي، كنتُ أمزقُ الدفتَر، أحطم كأسك المترعُ لأنساك.

هذا الليل للذكرى،

للوطن الذي مرّ.

إني لأسالك الآن يا وطني: أكنتَ هناك في بيتي؟ وسطَ النهارِ الذي عَقَنه براميلُ اللهب؟ أكنتَ هناك يا وطني؟ وسطَ الحقولِ
الخضِرِ في كفيك؟

وسطَ البكاءِ الحلوِ في عينيك؟

أهناك في الروح التي احترقت تراك قد كنتَ، أم كنتَ في الجسد الذي هرب ما بين أزيزِ الطلقة والطلقة

حدثني يا وطني! هل كنتَ هناك؟

قل لي نعم أرجوك يا وطني ...

هاهنا بيتُ الفل، ها هنا الضيعة في حلب القديمة حيث الليل أغنية لمائدة تملأ الصحن بالطلقات بالآهات يلحق دمك المسفوح
في بطن الملاعق. هنا حلبُ القديمة حيث الإصبع المقطوعة تعجنها الخناجر في شحم الكباب. هنا حلب القديمة حيث العين
ليمونة والكأسُ شرخٌ في كل باب. هنا حلبُ القديمة حيث الفجر يشرب يومه من بين دمعات الحمام. هنا حلبُ القديمة حيث
الدم المسفوح يزهر في مرج المرايا في الهديل البعيد في وهج الأنامل تلك التي تمسك الأيام بين أهداب الغواية

ترسل الطلقات طيراً لكل أصناف الزمن.

لهذا الوطن.

دسستُ بصدرك القمرَ

ومن شفقتك يا وطني طعمتُ الماضي والذكرى

بكفك ريشة الملكِ

ومن قدميك تنفلتُ المواويلُ.

من قبل الحياة جنتني وحد أيها الوطنُ. جئت دونما وزنٍ لترسم وجهك المنسي ما بين اسمك والحقول، دع قوافيك القديمات
ليومها واصنع لحبرك عطره من جذر العيون. هات ليومك الأول ريشةً أخرى، للبكاء الحلو تحت النوافير الكريمات، تحت

ظلال أجراس ترددك، تحت أشجارٍ أعطت غصنها وجهك. تعال لتمسك بقمرك الغارب، لتسق الخيلَ التي علكت ترب
خطواتك. تعال لتكسر الوزن، تعال لتمسك بزهرة تدوي، تعال لطفلةٍ كانت.

أحبك أيها الوطن، أحبك لأنك تشبه الورد، آخر الورد غنت مع الذكرى، وردة زرقاء شاسعة وممتدة، وردة سكرى، وردة
من ياقوتها النار، من عطرها نفس يسبق القبلة، وردة عرفت غموض التربة، وردة عرفت الماء إذ شربت أوان الليل، وردة
نبتت على خيط جميل في خيمة سهرت بين مراتب الرعيان فاضطربت وقت تضرع المزار للدفلى. أحبك أيها الوطن، أحب
غموض أجفانك، أحبك تينة تتضح، أحب فضاء أكتافك أحبك نعنق لفته خجل، جزيرة لحظة تقبل، لمعة طائف يدنو. بين القذف
والوهج فعلا أحبك. أحبك حب قنبلة عطوفة، قنبلة لا تنفجر، قنبلة تنمو تحت رجلك كالنبته، سرا تخون مُطْلَقها، جهرا تطل
بخفقة الضوء والظلمة، برقصة اللهب. أحبك لأنك قد خبأت عطر النار فسمدت به الأرض أحبك لأنك بلا موارد تخيرت
النصر للنبض في العرق، تخيرت من صدري هجعة الفجر.

أحبك أيها الوطن لكني سأهجرك.

سلاماً أيها الوطن، أيها النبع الأخير، اغسلني بك، عري اسمي من كل أحرفه، ارشقني مزرعة ثم علمني كيف أحصدك
موسماً بعد موسم وأنت تصير فاكهة وقمحاً، تصير جديداً يوماً بعد يوم. علمني يا وطني؛ علمني جوهر الكينونة، عز النار،
ولادة الفجر. وتعلم أني أغادرك، في هذه الليلة الرهيبة لسوف أهجرك. أرجوك أفهمني. أرجوك أعذرنني. وداعاً أيها الوطن.

... ثم قررت الهرب، سأمشي وحيدة، سوف أعدو تحت ضوء القمر. هذا القمر يحلم بجرة بنت صغيرة، بنت تخطو صوب
النهر بعيد الفجر. هذا القمر يحلم بدنٍ من غسلٍ وطاسة زيت، بزيتونة شربت نبعها الليلي قبيل اندلاع الحرب. قررت الهرب
مع الظل المخبأ ما بين أنفاس الهموم ما بين كل شك موارد، ما بين ظني وظنك، ما بيني وبينك، ما بين ما بيني وبين ما
تغمض الحرب عليه جفنا من لهب.

تعثر في ذيل أيامي طرف الحريق، تدلت من وجه السماء كل أجراس البكاء. مضى عامٌ ولم أحلم نبعة حقل جديد، بحبة
زيتون، بعين أمي، بسلام بيتي. هذه الحربُ تبدو مثل عدمٍ طويلٍ طويل! تغيرت أيامي، صرتُ أنام ما بين الحلم والكابوس،
بين أذكار الحجارة ورعشة اللهب الكئيب. الماضي الذي لن أتكلم عنه سأظن بأنه مات، سأهديه مقبرة ما بين الشط والبحر، ما
بين الصدى الروي وشهقة الأجراس. من سوريا إلى البحر أمشي دون أن أفهم! إلهي! من سيقراً قصة الخطو؟ كان في
سورياي الكير من الربيع، الكثير من ظل النحل والسحب الجميلة، كانت فلة وكانت ياسمينة، لفته شجر يحفظ الخبز والأوراق.
كانت هناك محبرةٌ ومدرسةٌ، نشيدٌ وأغنيةٌ. كنتُ أستطيع الجلوس والأكل وفض أسرار النسيم. ظلي اليوم اختفى! وإذا

اختفيا لظلمة يوماً فأنى نطعم الخبز نحبر الأوراق نرسم الدرس في دنيا النشيد؟ بم سيصنع اليوم بطفلة هربت؟ ثمة ضوء ها هنا يطارده حلم نحلة! ثمة ضوء شحيح. ثمة دربٌ طويل من الأرض إلى البحرِ.

في أي يوم كنتُ وفي حلب كانت تلكم البلدة؟ نوافيري ماضي الليل أذكرها قد انطلقت في زرقة السلم تأتلقُ. أذكر معقل ياسمينية لم تعرف الشرطة، لم تريكه نجمة الكتف في الضابط. في تلكم البلدة مواسم ضحكة عجلي، حاناتٌ، محلاتٌ تباع الخبز أهلة مسجد هادئ، كنيسة أرغن ضارع، بكل الناس تمور تلكم البلدة؛ قلاند نسوة تحكي، ذهبٌ من الحرف وحرفٌ من الفضة. وثمة فرق تعزف في الشارع ألعانا: إني أهواك. إني أنساك كما البلدة.

بحر الروم ليلتك. لليلي الآخر أنت يا وطني، بليلي الأصغر لكنك لهول الرعب جناحا راعف الريش. اسمع غنائِي الليلي: غطني بثوب منك يا وطني؛ وأنت أيها الكوكب ارمني بحففات منك ملتمة، لقد بلل الملح قدمي الحافي، بلل اللحم والظلمة. أغرق كل أحشائي. كل ذناب الموت جاءتني، كل عقارب الملح الخرافي ترفع ذبلاً وهي منطلقة، سمها المخزون يدعوني مسودا إلى الشوكة. وطني طهر ليلي الراهن من قبضة الحلكة، طهرني من هيولى دكنة البحر، وطني أنقذني من نيزك كم يحرق القلب.

أتاني جسدُ منك يا وطني، عانقتني طوال الليل، كان بثوبك خيطٌ من الشوك! وكنتُ أسبانية. تربة حقلك الأسود لم تحفظ لجسم الماء رائحة، بين الفل والاسمين تاهت نظرة منك. طويلاً فتشت في صدرك، فتشت عن اسمك المخبوء في ضلعك، عن يماماتي التي كانت يوم أن كنت. عينك دمعها جارف، شاحب خدك وشفقتك ظامنتان شققهما رمل حارق عندك.

اذكرك الآن يا أمي

أراك باكية

أمي

لا تحملي همي

نامي في حفرة تنأى

جميل أن الموت يحميك

يعفيك من بنتك.

لم تنزل قلادة منك

على صدري

قلادة بيضاء كالفل

عليها رعدة منك

زيتونة بيضاء كانت قلاتك

نيسان يذكرها

تذكرها كل معارج الدرب

يحفظها شعاع الشمس التي كانت

يذكرها طوب لم يهدمه برميل من اللهب

أه منك يا حربي

أه منك يا حلبي.

كقلب أجاصة كنتِ

كظل ندوة الفجر

تعلو هامة الزهر

كظل الخطو في العشبِ

كشعبِ في عطفة القمرِ

كلؤلؤة ستغسلها كل جرار النور في الصبحِ

لكن الديك لم يصحو ولم يصحِ

وهذا الليل كم طال

وليس الآن من برهة

ليس الآن من غفوة

سيمشي الدهرُ بالأبد

توشح ظلي معطف البحرِ

لكن الصدر لم ينسَ قلاتكِ

وفي ثديك أروقةٌ

خيلاً تالفُ الشعرَ.

صفحة جديدة

لا أدري

‘...’

‘...’

لكننا رضعنا الحقلَ والقمر الذي

قد نام في دنِّ الكرومِ

نزفنا العمر للذكرى

ثم صببنا الزيتَ ما بين نيران ربيعنا المطفأ

ساخنةً أيام نهارنا الأول

باردةً لحظة الحرب

هذا المساءُ لوجهك الممحو من ضوء رحيليّ القسري للبحرِ ...

صفحة جديدة

نحيلُ شرقك أيها البحرُ

بعيدُشطك أيها الغربُ

مثل طنينٍ في القلبِ أسمع وساوسَ الغربِ

ومن شرقي تلوَى اسم دخانك الأبدى يا حربُ!

خطوي كان عند الباب وقلبي تاه في الدرب.

أعطاني الدربُ للشطِّ وأعطاني الشطُّ للبحرِ.

هذا الليلُ للذكرى.

هذا الموج للمركب.

العالم... بحزام ناسف

زهرة بوسكين

هي الأم المطمئنة البال، سنوات وهي تعيش حياتها الهادئة التي رسمت حولها إطارا جميلا كصورة للذكرى مهربة من سالف الأزمان، لا يههما ضجيج العالم أمام سكون وكرها الذي أثنته بأحلام جميلة أحلام الحب والمال والبنون وكل ما طمحت إليه، عاشت أسعد اللحظات مع زوجها وأبنائها، سعدت بأفراحهم وبنجاحاتهم وهي تشد على أيديهم ليصلوا إلى بر الأمان، حتى أصبحت ترى بالعين القريبة الطبية والمهندس والضابط وأصغرهم لا يزال يشق طريقه صوب الأفق وهي تضع يدها في يده، لكنه يختلف عن بقية إخوته.. فكثيرا ما وجدت يدها التي تضعها في يده تسبح في الفراغ بلا يده، لكن أبدا لا يمكنها أن تتصوره يخذلها فقط يحدث أن يترك يدها سهوا..

هي الأم المطمئنة القلب والمرتاحة البال فهذا الإبن الذي كثيرا ما يترك يدها في فراغ الوقت هو أصغر أبنائها، أذاقته من رغيغ الدلال أكثر من إخوته، لم تحاسبه كثيرا وسعت لتفتح له كل النوافذ والمنافذ، صار على بعد خطوات من إنهاء دراسته الجامعية وسيكون بعد سنوات قليلة صيدليا، تماما كما حلمت هي وكما ربت بداخله حلمها فلم يجد بديلا عنه، كان يقضي وقته بين الرياضة والتلفاز لكنه استغنى عن التلفاز وصار يتحدث بأفكار غريبة من حين لآخر سرعان ما يتراجع عنها وينصرف إلى الصمت وإلى جهازه لينشغل عن كل العالم بالعالم الأزرق الذي يفتحه أمامه ويتواصل مع أصدقاء من كل صوب ومن كل جنس ومن مختلف المجالات وهي الأم المطمئنة يزداد ارتياحها كلما وجدته في غرفته غارقا في عالمه، منعزلا عن كل من حوله، لا تحب أن يخالط ابن الجارة لأنه لا يهتم بمظهره ولا يلبس آخر الماركات، وتنصح بالإبتعاد عن زملائه في الدراسة حتى لا يجرونه إلى الإنحراف، ويرتاح بالها كلما بقي في البيت في غرفته أمام عينيها بعيدا عن زملاء الدراسة وعن ابن الجارة، وذات يوم طلب منها مبلغا ماليا ليسافر في عطلة يغير جوا ويرفه عن نفسه، فلم تتأخر وسعدت كثيرا بذلك، وسافر إلى بلد مجاور، وبعد أيام قلائل انقطع عن الإتصال الهاتفي بها ولم يعد إخوته يجدونه متواصلًا معهم في العالم الأزرق ومر الوقت، مرت الأيام والأسابيع والأشهر وصارت الحيرة والإنكسار يكسوان قلب الأم ذلك القلب الذي كان مطمئنا راح يذبل من شدة الحزن والسؤال...

مرت سنة بخطواتها المتثاقلة، الباب يُطرق بطريقة غريبة لم تعودها، خفق قلبها الذي لم يعد مطمئنا وقالت علَّ الطارق إبنها الغائب، فهرعت إلى الباب فتحت لتجد أمامها رجال شرطة لم ترهم من قبل، إلتمسوا منها الدخول بإذن قانوني لتفتيش البيت، لم تستوعب ذلك واعتقدت أن في الأمر لبس أو خطأ غير مقصود لكنها تيقنت أن بيتها هو الهدف المقصود عندما طلبوا منها أن تسلمهم جهاز الكمبيوتر الذي كان يستعمله إبنها الغائب منذ سنة، لم تتأخر عن ذلك ولم تفهم السبب، وأفكار غريبة كانت تنزل على رأسها كمطرقة خشنة تدق مساميرا حادة، وقررت أن تسألهم بقلب الأم عليهم يقدمون لها الجواب الصريح، لكن أسئلتها بقيت معلقة، لتسمع في أخبار إحدى القنوات اسم إبنها وترى صورته، ذلك الوجه الصبوح السمح صارت تكسوه لحية كثة بصعوبة تبينت ملامحه، لم تصدق الخبر لكن تلك الصورة وذلك الاسم يتكرران في خبر تتداوله أكثر من قناة، لقد كان المخطط لتجويرات رهيبه في قلب عاصمة أجنبية، وذكروا أنه عنصر نشط في تنظيم إرهابي منذ سنوات وتم استدراجه وتجنيدته من خلال العالم الأزرق .. مُدت نحوه حبال الغواية، غواية الموت وهو متربع بذلك القلب المطمئن، لتسحبه خارج أحلامه، خارج الصيدلة والدراسة والبيت الهاديء، هذا البيت الهاديء الذي انطلق منه صوب عالم غريب دون أن يشعر أحد بمعاناته وهو ينسلخ ويتعري من كل ما يكسوه، لم يشعر أحد بأسئلة الحيرة التي كانت تؤرقه ولا بذلك الحصار الذي يُضرب حوله في عالم أزرق مفتوح على كل الإحتمالات لنقوده إحتمالات الغرق إلى هاوية غريبة، فكسر كل البنيان الذي علا برأسه،

كسر الإطار ومزق الصورة الجميلة التي تشبه ذكرى مهربة من سالف الأزمان زينت بها الأم جدار حياتهم، هدمه وهو مقتنع بحياة أخرى يؤسسها من نقطة نهاية هذا العالم، الذي لم يعد يحس بحدوده ولم يعد يلامس خريطته، ومنذ أن رحل عن البيت واتخذ قراره صار منفصل القلب والروح لقد تمزقت كل الخيوط التي تلفه وتمتد بينه وبين الآخرين، وكلما حاول أن يعيش لحظة وعي شرب الأقراص التي نصحوه بها ليشعر أن له قوة خارقة يمتلك بها الكون ويغير تركيبه بحزام ناسف ليبدأ حياة لا توجد سوى في رأسه المتعب بالأقراص المهلوسة.

هَلْكَ شَالُو

نورالدين اللباد

إلى صديقي المُغوي دائماً ، الشاعر الجميل جداً ، ابن الرِّقَّة الذبيحة الشاعر ابراهيم الجرادي المتمرد على اللغة و على الذين يذبون الحمائم والأطفال رداً على قصيدته الرائعة (هَلْكَ شَالُو) وهذا العنوان بداية القصيدة الشهيرة للشاعر (عبد الله الفاضل)

..... هَلْكَ شَالُو هَلِي شَالُو

ترانا كَلْنَا شِلْنَا

ولم نترك وراء الباب إلا حفنة

من طين

لعلَّ الريح تُرجعنا على عَجَلٍ

ونزرع في بقاياها شتول

التين

لعلَّ الماء يجري في عروق الرمل يوماً

واهياً سرّاً اخضرار الروح في

النسغ الحزين

(أنا يا صاحبي مُتْلُك حزين)

هَلْكَ عَزَّ النَّزِيلِ وَ عَزَّ مِنْ قَالٍ

هَلْكَ رِيحِ الشَّمَالِ وَ نَفْحَةً مِنْ هَالٍ

(هَلْكَ مَا عَادُوا بِنَدْرَخَانٍ)

هَلِي رِيحُ الْجَنُوبِ وَ رِنَّةُ الْفَنجَالِ

(هَلِي مَا عَادُوا مِنْ حُورَانٍ)

يُجِيرُ التُّرُكُ أَهْلَكَ يَا صَدِيقِي ، حِينَ

(أَهْلِي تُجِيرُهُمْ عَمَانٌ)

لَنَا أَهْلٌ تُكَالِي ، بَائِسُونَ هُنَاكَ

(فِي لَبْنَانٍ)

لَنَا أَهْلٌ وَرَاءَ الْبَحْرِ وَالشَّطآنِ

أَلَا لَا بَرَأْتُهُمْ مِنْ دِمَانَا

هَذِهِ الْأَوْطَانُ

وَأَنَا الْمُشْطَى فِي بِلَادِ اللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ

وَحْدِي ، تَائِهًا ، لَا رِيحٌ تَطْلُقُنِي

وَ لَا عَنَوَانُ

أنا لم أهاجرُ ، إنما هُجرتُ من وجعٍ ومن ألمٍ

ولم أحملُ بطرفِ الثوبِ من حجرٍ

فإني قد نسيتُ كلَّ أحجاري هناكُ

أتدري ؟ أنّ أُمِّي غادرتُ ، رحلتُ بعيداً

إنها ماتت هناكُ

و بكيئٌ وحدي يا صديقي ولم أراكُ

ليلُ المنافي يا صديقي مُترعٌ بالبردِ

و الأشواكُ

هَلْكَ شالو..... هَلِي شالو و ما بقيتُ

بأرضِ الدارِ من

أحمانُ

و فرَّقَ جَمَعَنَا خوفاً ، وأردننا عصا

الترحالُ

أدلتني العروبة يا صديقي

أيما إذلال

ألا من عودة تُرجى مع الريح التي

هبت شمال

هلك ما ألبسوا خدامهم أسمان

هلك عزّ النزيل و عزّ من قال

.....سنخرجُ من عميقِ الأرض كالزلازل

بندرخان: هي قرية الشاعر ابراهيم الجرادي ، تابعة لمنطقة (نل أبيض) في الرقة الجريحة

عزوا عمود الشعر

أدي ولد آدب

عَزُوا .. عَمُودَ الشَّعْرِ .. هُدَّ بَيَانُهُ!
بَيْتُ القَصِيدِ .. تَزَلَّزَتْ أَرْكَانُهُ!
وَبُخُورُهُ جَفَّتْ .. وَجَفَّ الرَّافِدَا
نِ .. تَفَجَّعَتْ .. مِلءَ النَّخِيلِ .. جِنَانُهُ!
وَتَلَمَّسَتْ شَفَّةَ العِرَاقِ .. لِسَانَهُ
فَإِذَا العِرَاقُ .. اليَوْمَ .. مَاتَ لِسَانُهُ!

قد مات "عبد الواحد" .. الشعرُ أنتهى
فهو القصيدة .. ونبضه أوزانه!
وحَيَالُهُ آفَاقُهُ .. أَحْلَامُهُ
أفنانُهُ .. آلامُهُ نيرانُهُ!
يا ضيعةَ العَرَبِ .. البَيَانُ شِعَارُهَا
وبموتِ شاعرِها امحى عُنوانُهُ!

لكنه .. إن يُطْفِئُ .. جَسَدًا .. فَنَفِي
رُوحَ القَصَائِدِ .. خَالِدًا .. لَمَعَانُهُ!
لهفي .. على قَبْرِ .. بباريس .. أنتفى
وَدَتْ .. وَوَدَّ .. تَضُمُّهُ .. بَعْدَانُهُ!
جَسَدٌ .. مَن امشاج العِرَاقِ .. مُوسَطَرٌ
قد مات .. يَرْجُو .. عَوْدَةَ .. جُنْمَانُهُ!
والرُوحُ .. ما بَيْنَ القَوَافِي .. والمَنَافِي
لَمْ تَزَلْ .. أَلْحَانُهَا .. أَلْحَانُهُ!

هذا الذي كَتَبَ العِرَاقُ .. مَلاجِمًا
حَتَّى ازْدَهَى -مِلءَ القَصَا- دِيوانُهُ!

ما اُخْتَنُّهُ.. وَطَنُ الْأَسَاطِيرِ.. الْأَلَى
وَأَتَى الْعِرَاقُ.. الطَائِفِي.. يَخْتَنُّهُ!